المقاومة عسكرياً

أبو همّام
مسؤول عسكري في حركة المقاومة

دار الطليعة - بيروت

المقاومة عسكرياً

الطبعة الاولى
ايار (مايو) ١٩٧١

أبو همّام
مسؤول عسكري في حركة المقاومة

المقاومة عسكريًا

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

صدر من هذه السلسلة

حد السيف

الجنرال شارل ديغول

جيش الثورة

المارشال ن. توخاتشفسكي

استراتيجية العمل

الجنرال اندريه بوفر

الكفاح المسلح في وجه التحدي الصهيوني

اللواء الركن
مصطفى طلاس

حرب الانصار

اوتو هيلبرون

الانتفاضة المسلحة

أ. نيوبيرغ

مقدّمة

كثيرة هي الكتب الاجنبية والعربية التي تبحث في موضوع حرب العصابات والانتفاضات المسلحة ، والصراع بمختلف انواعه ضد القهر بكافة اشكاله . وتقدم هــذه الكتب للقارىء صورة حية لاحداث التاريخ ، وتعطيه فكرة عما دار فــي هذا البلد او ذاك ، وتوجز له تجارب الشعوب في مجموعة قواعــد وأسس وتعليمات تفيده لفهم احداث التاريخ الثوري العالمي المتشابكــة المعقدة ، وتنير له جوانب كثيرة من زوايا الصراع الدائر حاليــا على ارض العرب .

ولكن هذه الدروس كلها تبقى دليلا ايضاحيا لا برنامجــا عمليا . فهي مستقاة من تجارب متعددة ذات خصائــص متباينة تتطابق حينا وتتعاكس حينا اخر ، وتتطور مظاهرها مــع تطور الشعوب والحضارات، وتبدّل الظروف المحيطة المحلية والدولية مادية كانت ام معنوية . ولا أدل على عبقرية اية قيادة ثورية من قدرتها على فهم التاريخ ، والتقاط الخيوط الاساسية للاحداث، وتحليل الواقع الملموس الذي تعيشه ، ومحاولة الافادة مــن القواعد والاسس بعد ملاءمتها مع الواقع ، وابتداع قواعد وأسس خاصة نابعة من صميم المعركة .

وقد يبدو هذا الكلام مكررا مألوفا ، وقد يظن البعض انه امر بديهي واضح كل الوضوح ، ولذا فلا ضرورة للتأكيد عليه ،

ولكننا مع اعترافنا بوضوح هذا الامر فاننا نؤكد بأن قلة قليلة من القادة الموهوبين قادرة على ترجمته ونقله من صعيد الرؤيا السليمة الى صعيد العمل السليم . فهو حسب التعبير الشائع «سهل ممتع» يشبه في ذلك كثيرا من المسائل العسكرية كتحديد اتجاه الخرق الرئيسي في الهجوم، وتحديد لحظة نضوج الظروف اللازمة للبدء بشن الهجوم الجماهيري ... الخ ، والتي قلّما استطاع القادة حلها بشكل حاذق صحيح — رغم بساطتها الظاهرة .

ويتمتع الصراع العربي — الاسرائيلي، الذي تشكل المقاومة جزءا منه ، بخصائص متعددة تميّزه عن الصراعات العالمية الاخرى ، فالواقع الدولي ، وخطورة مكان النزاع ، وطبيعة العدو ، وحالة القوى العربية الثورية، ودرجة التمرس النضالي، وحيوية هدف الرهان ، ووجود الشعب الفلسطيني وبنيته الطبقية والايديولوجية ، وجغرافية الارض ... الخ امور هامة اساسية تدفعنا الى التفكير وامعان النظر في كل خطوة من خطواتنا حتى لا ننقل التجارب الحربية العالمية بشكل ميكانيكي .

ولقد جمعنا في هذا الكتاب مجموعة من الكتابات التي وُضعت خلال فترة نشاط المقاومة ، وكانت تخدم عند وضعها هدفا دقيقا محددا ، ولكنها تشكل بمجموعها اسهاما في القاء الضوء على بعض زوايا المقاومة وسبل نضالها ، وطرحا لعدد من المسائل الهامة بأسلوب جديد ، يؤمن الانسجام بين النظرية والتطبيق ، ويجد صلة الوصل بين المبادىء النظرية والحقائق النابضة الملموسة على ارض المعركة .

ابريل (نيسان) ١٩٧١

ابو همام

حول الوضع الراهن ومهمات المرحلة القادمة

«تكمن عبقرية القائد الاستراتيجية في مطابقة وسائله مع هدفه ، دون ان يبالغ فيها او يقصر في استخدامها »

(كلاوزفيتز)

أجزاء من التقرير المقدم الى اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مارس (آذار) ١٩٧١ .

تعيش المنطقة العربية اليوم فترة جزر ثوري من اخطر فترات الجزر التي عرفتها في عصرنا الحاضر . وتميد الارض تحت أقدام الثوريين العرب الذين ينظرون الى غيوم الثورة المضادة وهي تتراكم لتحجب قرص الشمس التي كادت ان تبزغ، ويتساءلون وسط شموخ صمودهم :

ما العمل ؟

ولا يمكن الرد على هذا السؤال قبل معرفة اتجاهات الرياح التي تتدافع السفينة . فليست ثورتنا وحدة مستقلة تعيش في فراغ ، ولكنها جزء من كل ، تتفاعل مع الاجزاء الاخرى بصورة

متبادلة فتتأثر بها الى حد بعيد، وتؤثر بها ضمن حدود حجمها وديناميكية حركتها .

وهي تتأثر قبل كل شيء بواقع الثورة العالمية التي تقف موقف الدفاع الاستراتيجي امام ضربات امبريالية شرسة مغامرة تشن الهجوم في مختلف ارجاء العالم . ولقد غدا واضحا ان الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ما كانت لتتصرف بمثل هذا العنف والاستهتار ، لولا وضعها الاقتصادي الذي يتطلب الحرب كحل لمعضلاتها الداخلية ، ولولا مصالحها الضخمة في كل مكان ، ولولا استغلالها للتناقض الحاد القائم داخل المعسكر الاشتراكي ، ولسياسة التعايش السلمي السوفياتية التي لا ترجع بجذورها الى عهد الخروتشوفية -كما يعتقد البعض - بل تمد هذه الجذور حتى تصل الى فترة سيطرة ستالين - بوخارين التي تلت وفاة لينين ، ولولا تقييم دول المعسكر الاشتراكي لافضليات التناقضات العالمية وتسلسلها وأهمية خطورتها والتي تعتبر تناقض الدول الاشتراكية مع المعسكر الامبريالي اخطر من تناقض الامبريالية مع ثورات التحرر في العالم . ولا تنعكس كل هذه الاعتبارات على تصرفات الاتحاد السوفياتي وحده بل تمتد لتشمل تصرفات دول اوروبا الشرقية القريبة من منطقة الصراع العربي - الاسرائيلي فتجعلها اقرب الى تصرفات الصديق المؤيد الذي يقدم الدعم والعون دون ان يذهب الى درجة اخذ دور المشارك الذي يلقي بوزنه الكلي في المعركة .

واذا استثنينا الصين والدول الاشتراكية الاخرى السائرة على خطى بكين ، والمنادية بضرورة مجابهة الامبريالية واحباط مخططاتها في الوطن العربي ، وجدنا ان دول المعسكر الاشتراكي تؤيد موقف موسكو الخاص بالتسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط ، اي التسوية التي تبعد عن المنطقة خطر صدام دولي

سابق لاوانه ، وتضمن استقرارها المؤقت ، ريثما يتم انقلاب موازين القوى العالمية ، ويتحقق على المدى البعيد تفوق قوى المعسكر الاشتراكي بشكل يكبح جماح الامبريالية ويقلص نفوذها، فتنكمش بالتالي كل بقايا هذه الامبريالية وامتداداتها في القارات الثلاث ــ بما في ذلك اسرائيل ــ او يقضي على النظام الامبريالي برمته ، وينهي كل مظاهر العسف الطبقي والقومي في العالم .

والعامل الثاني الذي يؤثر على ثورتنا هو واقع العالم العربي المجزأ ، الذي كتمت الحكومات الرجعية القمعية انفاس الجماهير في بعض اقطاره ، وقتلت بذور الحركة الثورية قبل ظهورها ، وجاءت بعض الحكومات «شبه التقدمية» في اقطار اخرى فاحتوت الثورة ، ورفعت شعاراتها ، واستنزفت زخم الجماهير الثوري ، وغيّرت الكثير من البنيات الفوقية دون أن تدفع التغيير الى مستوى خلق علاقات جديدة داخل مجتمع ديناميكي، قادر على الافادة من وجود عالم اشتراكي يحمل تجربة نصف قرن ، والانتقال من مجتمع يحمل كل آثار التخلف الاجتماعية والاقتصادية الى مجتمع عصري يواكب التطور العالمي ، ويشارك في صنع تاريخ البشرية .

ومهما تكن تطلعات الجماهير العربية وآمالها ورغبتها في تحرير الارض المحتلة ، ومهما تكن المواقف السابقة للحكومات العربية ، فلقد اثرت عليها الضغوط الامبريالية المتصاعدة ، والضربات الاسرائيلية القمعية الموجهة الى جيوشها ، وتفوق العدو عليها في اسلوب الصراع الذي اختارته الحكومات لنفسها انطلاقا من تكوينها وطبيعة علاقاتها مع الجماهير (وهو اسلوب الصراع التقليدي البحت بدلا من اسلوب الحرب الشعبيةبمعناها الواسع) ، وتقاعسها عن تكريس قواها لمعركة المصير الفاصلة ، وعجزها عن ايجاد صيغة تربطها بدول المعسكر الاشتراكي برباط لا يقل قوة عن رباط اسرائيل مع دول المعسكر الامبريالي ، بشكل

محمد يوسف المرشي

يخرج السوفيات عن موقفهم ويدفعهم الى القاء اكبر وزن يتصورونه ممكنا (ضمن حدود استراتيجيتهم العالمية) ، وفتح فيتنام جديدة تشمل الارض العربية كلها بما في هذا التحول الخطر من مآس وتضحيات وآمال . قادتها كل هذه الامور الى منطق اقليمي متهالك ، يقبل اليوم ما كان يرفضه بالامس ، ويفلسف التنازلات التيما ان يحصل العدو عليها حتى يتجاوزها مطالبا بتنازلات جديدة غيرها .

وهكذا وصلت الامة العربية اليوم الى موقف عملي ملموس اسوأ من الموقف الذي اعقب هزيمة حزيران .

صحيح ان كثيرا من الجماهير قد غدت بعد حزيران ١٩٦٧ اكثر وعيا لحقيقة ما حدث ، وصحيح انها كشفت بعد ذلك فداحة الخسارة وابعادها واحتمالات أنعكاسها ، كما عرفت مدى العجز في المعسكر العربي، والتصميم فيمعسكر العدو وحلفائه، وتخلصت من وهم المعجزات القادرة على ان تحقق في الستينات نتائج تشابه انسحاب المعتدين في الخمسينات ، وصحيح انها تعيش الان الحقيقة بكل نبضها ، وترى ان الارض محتلة ولا تزال محتلة ، وان العدو يتصرف بقحة متزايدة ويطالب بمكاسب اكبر ، وان الضغط الاميركي جاثم على صدرنا بكل ثقله ، وان اصدقاءنا يعرفون حقيقة حجمنا ، ويعون حجم مصالحهم ، ويرون بكل وضوح عتبة التضحيات التيلا يمكن ان يجتازوها من اجلنا في وضعنا الراهن . ولكن هذا الوعي الذي يشكل ايجابية لا تنكر في واقع الامة يفقد جزءا كبيرا من قيمته امام سلبيات الواقع المجزأ – كما كان قبل الهزيمة – وعمليات الاستنزاف المعنوي في مهمات ثانوية على حسابمهمة «التحرير» الاساسية، وعمليات الدعاية التي تصور الحلول التصفوية بانها انتصار «يحقق بالسلم ما عجزت الحرب عن تحقيقه» ، وتخدع الجماهير

بتصوير انسحاب العدو من الاراضي المحتلة كانتصار عظيم حرم العدو من تحقيق اهدافه التوسعية ، متجاهلة في الوقت نفسه ذكر الثمن المدفوع لتحقيق هذا الانسحاب ، وهو تأمين «السلم» لاسرائيل اي تحقيق «هدف حربها» وهو هدف اهم بكثير من الارض والتوسع .

ولقد استُخدمت وسائل الاعلام في عملية الخداع على نطاق واسع، وكان للاذاعة دور كبير فيهذا المضمار لان الجماهير العربية التي لم تتفتح بعد كلية على الكلمة المكتوبة تتأثر بالكلمة المسموعة الى حد بعيد .

وهكذا ورغم الوعي الناجم عن الهزيمة ، تُدفع الجماهير دفعا نحو مفاهيم خاطئة جديدة . وتتعرض لاخطر عملية اعداد نفسي كيما تتقبل تصرف الحكومات **التي تريد ان تدفع اليوم** نقدا ثمن حزيران ، بعد ان ماطلت كثيرا في الدفع ، وهذا ما يجعل الموقفالعملي الملموس اليوم اسوأ من الموقف بعد الهزيمة.

وكان من الممكن ان نجعل من هذا الحدث «خسارة معركة لا خسارة حرب» ، ولكن حقيقة تصرف هذه الدول الان وبعد حوالي اربع سنوات يعني انها خسرت الحرب ، ما دامت قد رضخت ـ ولو بعد فترة مماطلة وحرون ـ لارادة العدو في «صراع الارادات» ، وقبلت تقديم التنازلات التي كان يصبو اليها ويسعى الى تحقيقها ، واصبحت على وشك تقديم السلم ـبالشكل الذي رسمه العدوـ اي على تحقيق هدف حربه .

اما الحكومات الرافضة للحل السلمي ، فبوسعها انترفض الى ما لا نهاية دون ان يكون لرفضها اي وزن في الصراع الدائر حاليا ، طالما انها بعيدة عن حقل المعركة الفعلية ولا تخضع للضغط اليومي المتمثل بالاحتلال العسكري ، ولا تزج كل طاقاتها المادية والمعنوية في المعركة .

والعامل الفعال الثالث هو الشعب الفلسطيني داخل الارض المحتلة وخارجها . ومن المؤكد ان الوضع المعنوي والزخم الثوري لهذا الشعب يمر في مرحلة من اخطر المراحل من جراء سلسلة النكسات التي اصابته . فلقد حلم هذا الشعب حتى عام ١٩٦٧ بجيوش عربية جرارةتحرر الارض وتعيد المشردين الى اراضيهم. وبقي رغم كافة العمليات القمعية التي تعرض لها داخل الارض المحتلة وفي بعض الاقطار العربية (وخاصة الاردن) ورغم حالة الضياع التي تعيشها الامة بأسرها، ورغم حملة الدعايةالاسرائيلية الدؤوبة محافظا على جذوة الحماس في اعماقه. وجاءت الصدمة الاولى في حزيران ١٩٦٧ لتهز اسس ايمانه ، وتجعله ينظر الى المستقبل بتشاؤم ومرارة ، ويعتقد بانه خدع خلال سنوات طوال ... ثم ما لبث بعض التشاؤم ان تبدد مع اتساع نشاط المقاومة . واستعاد الشعب المسحوق بعض ثقته بنفسه ، ولكنه اخذ يؤلّه من يحملون السلاح رغم الهزيمة ، ثم جلس ينتظر من الاله الذي صنعه بيديه أن يخلق المعجزات. ولكن طبيعة المقاومة، وظروف نشوئها ، وخلافاتها المبررة (المستندة الى خلفيات فكرية متناقضة) ، وغير المبررة (المستندة الى خلافات شخصية بحتة مكشوفة او مغطاة بغطاء ايديولوجي شفاف)، وخصائص المعركة، وواقع العدو ، وارتفاع اهمية مستوى «هدف الرهان» لديه الى اهمية مستوى «هدف الرهان» العربي .. الخ ، لم تكن لتسمح للمقاومة بأن تكون على الصورة التي رسمها لها الشعب ومبالغات الدعاية . وظهر تناقض كبير بين حقيقة المقاومة وما تطالبها به الجماهير العربية عامة والفلسطينية خاصة . ولم يكن التناقض نابعا من خطأ المقاومة او تقاعسها ـ خاصة وان تكوينها، وطبيعة قياداتها ، وعمرها وتجربتها النضالية القصيرةوالمؤامرات المحاكة حولها لم تكن تسمح لها بأن تقدم اكثر بكثير مما قدمت ـ ولكنه كان ناجما عن خطأ الصورة التي رسمتها مخيلة الانسان

العربي لها . واخذ الشعب الفلسطيني يحس بخيبة الامل الثانية وهو يرى الهه عاجزا عن «شفاء الاعمى والابرص» .

وأخيرا جاءت الصدمة الثالثة مع احداث ايلول ، وسلسلة الاحداث التي سبقتها وأعقبتها في الاردن ولبنان ، وسددت القوات الاردنية البيضاء ضربتها المضادة للثورة تحت ستار صمت عربي — سوفياتي ، وتأييد اميركي — اسرائيلي . وشاء مخططو الضربة ان لا تكون لتصفية المقاومة فحسب ، بل لتصفية بقايا الأمل داخل ضمير الانسان الفلسطيني ايضا . بغية اقناع هذا الانسان بأن تعايشه مع «العرب» غدا متعذرا ، وان «الخطر العربي» اكبر أحيانا من «الخطر الصهيوني» . ورافق الضربة العسكرية ضد قوات المقاومة عملية ابادة واذلال مقصودين ضد سكان المخيمات ، وحرب نفسية واسعة النطاق (مساعدات طبية اسرائيلية ، الحديث عن ان اسرائيل لم تضرب القرى العربية بمثل عنف الضربات الاردنية ، تسليط الاضواء على عمليات النهب وهتك الاعراض التي قامت بها القوات الملكية البيضاء .. الخ)، وطرح مكثف لموضوع النعرة الاقليمية الاردنية ــ الفلسطينية. والحقيقة ان هذه الصدمة أوجدت شرخا عميقا في صفوف الجماهير الفلسطينية ، افقدها جزءا كبيرا من عنادها النضالي ، وجعلها ــ وهذا هو اخطر ما في الامر ــ اكثر استعدادا من الناحية النفسية لتقبل عدد من المشاريع التي لم تكن لتخطر على بالها . وكان هذا انتصار لا ينكر لقوى الثورة المضادة .

والعامل الرابع والاخير هو حركة المقاومة . فهي جزء فعال من الموقف الراهن . ويعرف كل من يتنطحون لحل المسألة ان لموقف المقاومة ازاء اي حل اهمية بالغة ، لذا فهم يرسمون الخطط لارغامها على قبوله بالقوة ، او خداعها ودفعها الى اعتباره ربحا لا بد من التمسك به والسعي الى تحقيقه . ولن نعمد هنا الى الخوض في تاريخ تشكيل المقاومة او تفصيلات

اخطائها الجزئية ، ولكننا سنكتفي بلمس النقاط الاساسية التي تؤثر على مسيرتها النضالية بشكل عام .

لقد طرحت المقاومة منذ البداية هدفا كبيرا وهو «تحرير الارض المحتلة» وكان هذا امر صحيح وعلى غاية من الاهمية ، لانه حدد الهدف النهائي الذي لا بد من اعداد القوى لتنفيذه .

ولكن المقاومة اخطأت عندما لم تلحظ بعد هذا الطرح الصحيح ان الهدف اكبر من امكانات الفلسطينيين وحدهم ، وشجعها على الاستمرار في هذا الخطأ كثير من الحكومات العربية التي انهكها الصراع فلم تعد قادرة على متابعته ، او لم تشارك به في الاصل لعجزها عنه . ودُفعت بعض فصائل المقاومة الى طرح المسألة وكأنها صراع فلسطيني - اسرائيلي ، او على ابعد تقدير صراع عربي - اسرائيلي يتم توزيع الادوار فيه بالشكل التالي :

١ - تقوم الدول العربية المحيطة بنشر جيوشها على الحدود انتظارا ليوم الهجوم (الذي كانت تعرف انه لن يأتي خلال هذه الحقبة على الاقل ، ولكنها لا تصارح الجماهير بذلك) .

٢ - يقوم الفلسطينيون بحرب العصابات بغية استنزاف العدو .

٣ - تجاهد الدول العربية الاخرى (وخاصة البترولية) بمالها واذاعاتها وخطب زعمائها **حتى آخر فدائي على أرض المعركة !!**

وكان من الطبيعي ان تقبل المقاومة هذا التوزيع نظرا لواقعها ، وشكل تواجدها ، وضخامة اجهزتها الاضافية الزائدة، وجسامة مصروفاتها . ولكنه كان عليها بالتالي ان تعلن ولاءها للدول العربية ، وعدم تدخلها في الاوضاع الداخلية (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية) واستعدادها لتلقي المساعدات في سبيل محاربة العدو الاسرائيلي - وهو جزء من العدو فقط -

والسكوت عن بقية الاعداء (الرجعية العربية) فوضعت بذلك الحركة الثورية في انبوب اختبار معقم ، وحرمتها من التفاعل الحقيقي مع الجماهير العربية . وجعلت هذا التفاعل يتم عبر قنوات الانظمة والحكومات نفسها ، واخذت تدور في فلك هذه الدول مكرّسة بذلك وجودها ، ومضطرة بذلك الى تجاهل الافق العربي الحقيقي لحرب التحرير المنشودة .

ونجم عن هذا الموقف الخاطىء اصلا ، وعن وهم البرجوازية الصغيرة بامكان التعاون مع الحكم الاردني ككل ومع المؤسسة العسكرية في الاردن بكاملها ، اخطاء استراتيجية لا تغتفر . فبدأت المقاومة تتصرف على ارض الاردن وكأنها على ارض صديقة ، او كأن الحكم القائم وقوى القمع العاملة في خدمته قوة وطنية مؤيدة للمقاومة . ولم تر قيادات المقاومة ان الجيش الملكي الابيض ينتقل بصورة متدرجة من معسكر القوى التي يمكن تعبئتها في معركة التحرير الى معسكر القوى المضادة للثورة . وان الانتقال قد تم نهائيا بعد طرح مشروع روجرز ، وبعد انتهاء السلطة العميلة من تصفية معظم العناصر الوطنية الفعالة العاملة داخل الجيش وقوى الامن . فبقيت تنظر اليه كمؤسسة وطنية ــ على اعتبار ما كان ــ وتتعامل معه على هذا الاساس ، فلا تهتم بتفتيته اهتماما كافيا ، ولا تخلق في داخله خلايا سياسية ثورية تضم الجنود الثوريين . وقصرت اهتمامها ــ في حالات وجوده المحدودة ــ على الاتصال بالضباط فقط ، وهذا امر له جذوره الطبقية ودلالته المعروفة .

وهكذا وقعت المقاومة ككل ، والمنظمات المتعددة كل على حدة ضحية نرجسيتها اولا ، وفلسطينيتها ثانيا ، وأوهامها ثالثا ، واصبحت كل محاولة توحيدية تصطدم بالـ «انا الثورية»، وجاءت بعض الدول العربية لتشجب تعدد المنظمات لفظا وتشجع

التعدد فعلا عن طريق دعم الانشقاقات ، او تبني التشرذم ، او خلق منظمات جديدة مرتبطة بالدول عضويا . واتجهت الدعايات العربية لشق المقاومة وتصنيفها الى «شريفة» و«غير شريفة» ، وكان من جراء ذلك ان تضخمت الـ «انا» حتى غدت ظاهرة مرضية ومشكلة من مشكلات المقاومة وعقبة — من جملة العقبات العديدة — التي تمنع تطورها وتصاعدها .

ويحاول البعض عند تقييم مرحلة ما قبل ايلول تعداد اخطاء المقاومة ، فيذكر التعدد ، والخلافات ، وعدم الفاعلية القتالية ، وطرح شعارات اجتماعية لا تلائم المرحلة ، ومهاجمة هذا النظام العربي او ذاك ، واستفزاز السلطة الاردنية ، وعدم التلاحم مع الجماهير ، وفتح المكاتب ، واستخدام السيارات ، ويتدنون احيانا حتى يصلوا الى الاخطاء الفردية التي تقع في كل زمان ومكان . والحقيقة ان كل هذه الامور لا تشكل اخطاء بل نتائج ومظاهر خطأ في التقييم السياسي لطبيعة الانظمة العربيةوحقيقة ادوارها المحتملة في المعركة وخطأ استراتيجي اساسي هو «تحديد هدف استراتيجي اكبر من القوة المتوفرة ، واكتشاف الاختلال في ميزان القوى خلال الصدام ، وعدم العمل على تعديل ميزان القوى او تحديد اهداف مرحلية مؤقتة اصغر ، والتمسك على العكس بالهدف الاساسي ، ومتابعته بعناد حتى حدود الاستنزاف الذاتي» . ويمكن ايجاز هذا الخطأ الاخير باسم «العناد الاستراتيجي اللاعقلاني» وهو لا ينجم الا عن «عمى استراتيجي» يمنع الرؤية الحقيقية لميزان القوى، وتناسب القوى مع الاهداف . ويمنع بالتالي كل امكانيات التلاؤم بين القوة والهدف ، او عن «نرجسية ثورية» ترفض الاعتراف بالخطأ ، وتقدس تجربتها الذاتية ، وتندفع بحمية يائسة لتمجيد اهداف مستحيلة ، وخلق ملاحم بطولية انتحارية ، او عن «انعدام

الجرأة الثورية» وهي الصفة الاساسية اللازمة لنقد المراحل ، واعادةالنظر، وتبني التنظيم وطريقة العمل والشعارات والاساليب المناسبة لكل مرحلة جديدة . او بتعبير اخر **حل التناقض القائم بين الذاتي والموضوعي .**

لقد كان على المقاومة التي حددت هدفها في « تحرير فلسطين» ان تحدد حجم القوة اللازمة لهذا العمل ، وتتصور ديناميكية رد فعل العدو طالما انها لا تعمل ضد جسم ميت او قوة ثابتة . ولو فعلت ذلك لرأت فعلا ان قوتها لا تكفي لتحقيق الهدف ، ولآمنت بأن خلق هذه القوة لا يتم الا عربيا ، وبأن عليها ان تحافظ على ما تملكه وتنميه بدلا من ان تبدده ، وأن تستخدم قواها بتقتير كامل **فلا تطرح الحرب طويلة الأمد ، ثم تبدأ العمل وكأنها في عشية معركة التحرير الفاصلة .**

وفي غمرة هذا الواقع المتخبط السائر بلا افق او مخطط للوصول الى الافق ، كانت القوى الرجعية تعد العدة لضرب المقاومة ، ومنعها من ان تكون قوة فعالة قادرة على تمثيل الشعب الفلسطيني والتحدث باسمه ، والتأثير على الاحداث ، وعرقلة المخططات التي ترسم . وعندما وجدت الرجعية الاردنية انها قد استعادت حيويتها التي فقدتها خلال حرب حزيران ، وأعادت بناء القوة اللازمة لتنفيذ المخطط ، وحققت انقلاب ميزان القوى لصالحها ، استغلت موجة الاخطاء الجزئية ، والدعايات المحمومة المضادة ، ولحظة الانقسام المريع الذي اصاب المقاومة والجماهير الملتفة حولها بسبب تباين المواقف من مشروع روجرز ، وانقضت على المقاومة . وكان لا بد من تحليل معركة ايلول واستنباط النتائج والدروس . ولقد حاول اكثر المحللين ــ بحكم افقهم التقني المحدود ــ تسليط الاضواء على اخطاء المقاومة ، كالتسليح، والتدريب ، والارتباط ، والقيادة ، وأساليب استخدام الالغام

والحواجز ، والشؤون الادارية .. الخ ، التي تبقى رغم اهميتها ضمن حدود الاعداد التقني . وارتفع البعض الاخر الى مستوى التكتيك ، فانتقد اساليب الهجوم والدفاع وطرق القتال في المدن والجبال ، على حين بحثت قلة قليلة في اخطاء استراتيجية عسكرية لا تخرج عنَ مستوى تعاون قوات الريف مع مليشيا المدن ، وتعاون المقاومة (عصابات) مع قوات جيش التحرير الفلسطيني (النظامية) . ولكن خطأ المقاومة الرئيسي في هذا الصدام كان شيئا اخر غير هذا كله ، لانه كان خطأ على مستوى الاستراتيجية العليا. لقد كانت المقاومة بحكم تكوينها وارتباطاتها العربية وآفاقها عاجزة بمجموعها عن تبديد الوهم البورجوازي الذي تحدثنا عنه ، والقائل بامكانية التعاون مع السلطة الاردنية او تحييدها ، وعاجزة عن رؤية حركة انتقال القوات المسلحة الاردنية من قوة وطنية لا تجد ضيرا في مساعدة المقاومة الى قوة من قوى الثورة المضادة الراغبة بالاجهاز على المقاومة . وانعكس هذا العجز بانعدام القدرة على تحديد موقف موحد من السلطة الاردنية كلها . وان كانت بعض الفصائل قد انفردت بقرار اسقاط السلطة فقد اتخذت هذا القرار بشكل بلانكي مشوه ، او اعتمدت على انقلاب عسكري عادي لا يحمل من الثورة الا اسمها ، او اكتفت بطرح الشعار سياسيا . ولكنها كانت في جميع الحالات غير مستعدة «تقنيا» لعملية الاسقاط ، ولم تنظر الى الانتفاضة ك «فن» له اصوله المعروفة ، وعملية ضخمة خطيرة لا ينبغي «اللعب بها» . اما بقية الفصائل فكانت تنتظر هجوم العدو ، وهي متأكدة من وقوعه ، فلم تبادر الى الهجوم، لانها لم تستطع اتخاذ قرار باسقاط السلطة، بل بقيت في الدفاع السلبي «وفي الدفاع موت الثورة» (١) .

---

(١) ماركس «الثورة والثورة المضادة في المانيا» ذكرها لينين في المؤلفات الكاملة ، الجزء ٢١ ، الصفحة ٣٤١ ــ ٣٤٢ .

واذا كان بوسع المقاومة ان تبرر هذا الموقـــف الدفاعي ، وعدم القيام بالانقلاب البلانكي بسبب عدم تناسب ميزان القوى، وعدم شن الانتفاضة المسلحة لعدم نضج الظروف اللازمة للهجوم (وهي الظروف التي حددها لينين بحالة ثورية جماهيرية متقدمة ناجمة عن رفض غالبية الشعب للاستمرار في الوضـع القائم . وحزب ثوري طليعي مسلح مستعـــد للقتال وقيادة الجماهير . وحالة تردد وتفتت داخل معسكر العدو والمحايدين المتذبذبين) . واذا كانت المقاومة تتذرع بان موقفها هذا كان ناجما عن الابتعاد عن «المغامرة اليسارية» وضرورة التمسك بأهداف « الصبـــــر الثوري» فان كل هذه الحجج فقدت مدلولها ووزنها بعد ان قام العدو بهجومه المفاجىء ، ونزلت الجماهير الى الشارع حاملـــة سلاحها لمجابهة الدبابات ، ووصل الوضع الثوري الى «اللحظـة الحرجة» . هنا كان على المقاومة ان تنزل الى الشارع وتقـــود الجماهير حتى تسقط السلطة . ولقد نزلت المقاومة بالفعل الى الشارع ، وقاتلت ببطولة ، وقادت الجماهير خلال الاشتباكـات (ضمن حدود امكانياتها وبافق تكتيكي بحت) . ولكنها لم تحـدد لنفسها وللجماهير المسلحة هدفا محددا ، ولم توجه القتال كله لتحقيق هذا الهدف. لقد كانت عناصر المقاومة والمليشيا تصطدم مع الجيش في معارك تكتيكية لمنع تقدم الدبابات فيهذا الشارع، او لصد الجيش المهاجم لاحتلال ذاك المخيم . ولكن الربـــــاط الاستراتيجي العام لهذا القتال ، اي هدف مجموعة الاشتباكات (اسقاط السلطة) كان مفقودا من الناحية العملية رغم وجوده على الصعيد النظري والطرح المجرد . لان هذا الطرح لم يترجم فعلا بعمل هجومي وروح هجومية على كافة المستويات ، ولا تسقط الحكومة القديمة حتى في ذروة الازمـــة «اذا لم تجد مـــن

يسقطها» (١) . من هنا اخذت الاشتباكات كلها شكلا دفاعيا (للدفاع عن النفس) دون افق استراتيجي واسع . لان مثل هذا الافق لا يمكن ان يأتي لوحده ، وما هو الا نتاج تقييم سياسي وقرار سياسي **لم يكن متخذا ، ولم يكن من الممكن اتخاذه** .

ويحلو لبعض منظري المقاومة ان يفلسفوا عدم اللجوء الى الهجوم بانه ابتعاد عن «الانتهازية اليسارية» ، وهم يتحدثون عن «ميزان قوى غير ملائم» ، و«ظروف غير ناضجة» ويؤكدون ان عدم الهجوم لم يكن ناجما عن «انتهازية يمينية» بل عن رغبة في مزيد من الاعداد التقني والتلاحم مع الجماهير .. الخ . ويتمتع قولهم بالصحة كلها حتى صبيحة يوم ١٧-٩-١٩٧٠ ، ولكنه يصبح على غاية من الخطأ بعد ذلك ، لان الطليعة التي تعمل على توعية الجماهير ، والحد من اندفاعاتها العفوية انتظارا لقدوم «اللحظة الحرجة» المؤاتية ، مضطرة الى التخلي عن هذا الموقف واستلام زمام القيادة اذا ما نزلت الجماهير المسلحة الى الشارع، او اذا ما بادر العدو بالهجوم .

وقد يترك هذا الحديث لدى القارىء انطباعا بانه لو كان لدى المقاومة افق استراتيجي صحيح ، وروح هجومية ملائمة وردت على هجوم قوى الثورة المضادة بهجوم شامل لاسقاط السلطة لتم اسقاط السلطة فعلا . ولكنني في الحقيقة لا اريد ان اقول ذلك ، لان ميزان القوى قد لا يسمح بذلك ، وليس في الانتفاضة المسلحة - وفي كل عمل حربي - اي حكم قاطع من هذا النوع، ما دامت الحرب فيطبيعتها امرا محفوفا بالمفاجآت. وكل ما اود ان اقوله هو ان التصرف بهذا الشكل كان يعني

---

(١) لينين وزينوفييف «ضد التيار» الجزء الاول ، الصفحة ١٤٨-١٤٩ مكتب المنشورات باريس .

السير على السبيل القويم ، والعمل على تحقيق شرط لازم ولكنه غير كاف لتحقيق النجاح .

وهنا قد يحتج بعض الرفاق ويؤكدون بانه لو تم الهجوم من قبل المقاومة وحققت هجماتها الاولى بعض الانتصارات لما غير ذلك من الامر شيئا ولتعرضت المقاومة بعد ذلك الى ضربات قاسية ، ولكانت النتيجة في نهاية المطاف مساوية لنتائج ايلول بالاضافة الى خسارة تأييد الجماهير . ولكن هذا الاحتجاج خاطىء ، وتزداد خطورة خطئه من انه صادر عن ماركسيين (لم يقرأوا ماركس بامعان) ولو فعلوا ذلك لرأوا انه يتحدث عن كومونةباريس فيقول «لو لم يخض الناس الصراع الا بعد التحقق المطلق من النصر لكان خلق التاريخ امرا على غاية من السهولة . لقد طرحت بورجوازية فرساي القذرة امام الباريسيين الاختيار التالي : قبول التحدي او الاستسلام بلا قتال . ولو قبلت الطبقة العمالية الحل الثاني لنجم عن ذلك انهيار معنوي يفوق ضرره خسارة اي عدد من الزعماء » (١) . ولقد طرحت البورجوازية الاردنية البيضاء امام الجماهير والمقاومة حلين. وكان على المقاومة (الطليعة) ان تختار وأن تقوم بدورها في خلق التاريخ ، وان لا تخشى الهزائم الجزئية المؤقتة التي تحمل في طياتها بذور نصر مقبل اكيد . وأن ترى بان الصراع الثوري سلسلة من المناوشات والمعارك الظافرة والخاسرة التي يكون الظفر فيها دفعة الى امام، وتكون الخسارة فيها مدرسة تعلم الثوار كيف يتلافون اخطاءهم ويستعدون للجولة التالية بشكل افضل .

وهكذا مارست المقاومة مظهرا من مظاهر الانتفاضة (القتال) بكل اندفاع ولكن دون ان تعي بكل اعماقها ان هذا النوع

---

(١) رسائل ماركس الى كوغلمان ، ذكرها لينين .

من القتال «فن من الفنون» وان من الضروري ممارسته بكل حزم وتصميم «وعدم اللعب بالانتفاضة» (١) اي السير بها الى ابعد مدى ، وحتى اسقاط السلطة الملكية . وكان من جراء ذلك ان مرت «اللحظة الحرجة» دون الاستفادة منها ، وانتقلت المبادهة الى يد العدو .

وكانت نتيجة احداث ايلول ان حقق العدو سلسلة من الانتصارات العسكرية التي بدأ يحولها الى مكاسب سياسية ، وأخذ يجرد المليشيا من سلاحها ، ويضغط حجم الارض التي تحتلها المقاومة ويدفعها نحو الجبال محاولا عزلها عن جماهير المدن وسكان المخيمات ، وابعادها عن العاصمة والمدن التي تتمركز فيها كافة السلطات السياسية والاقتصادية للمملكة الاردنية — وككل دولة مشابهة تعيش على المساعدات الخارجية وتتمحور الحياة الاقتصادية فيها حول الاقتصاد الاستهلاكي المحدود ، وتسود السلطة السياسية فيها عن طريق السلطة العشائرية المرتبطة بالاسرة الحاكمة برباط الولاء شبه الديني .

واستسلمت المقاومة بحكم واقعها العسكري الجديد الى مطالب الحكم الملكي فجمعت معظم المنظمات سلاح المليشيا ووضعته في مستودعات يستطيع الجيش ان يقفز عليها بلحظة واحدة فيجرد الشعب من كل قدرة مادية على النضال ، وخرج كافة المقاتلين الى الجبال ، وابتعدوا عن جماهير المدن والمخيمات «اداة الثورة وغايتها» .

وما ان وجدوا انفسهم في مناطق منيعة مشجرة حتى اصابهم «وهم القوة» من جديد ، وحللوا الموقف تحليلا ذاتيا بحتا ، واعلنوا ضرورة البدء بحرب العصابات الريفية انطلاقا من منطقة

---

(١) ماركس «الثورة والثورة المضادة في المانيا» .

محررة او قاعدة ريفية لحرب العصابات . هنا وقفت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لتحلل بشكل علمي الظروف الملائمة لحرب العصابات ، وكان تحليلها بأنالمناطق المحررة (قواعد حرب العصابات) بحاجة لما يلي :

١ ـ ارض واسعة وعرة قليلة المسالك صالحة للنضال الدفاعي . ولكن الارض المخصصة للمقاومة رغم وعورتها ضيقة لا تسمح بالمناورة والحركة ، وهي تجبر المقاومة على الدفاع الثابت عن المواقع التي تحتلها نظرا لانعدام امكانيةتركها والانتقال الى مكان اخر بعيد عن متناول العدو .

٢ ـ جماهير فلاحية مؤيدة لحرب العصابات ، ومتمرسة على الصراع الطويل ضد السلطة . او تعيش حياة فاقة لا بد من انتهائها بأي ثمن . وجماهير القرى الجبلية الاردنية تنظر الى المقاومة نظرة تتراوح بين السلبية والعداء . وهي لا تشكل طبقة فلاحية متمرسة على النضال الطويل ضد السلطة ، ولكنها اقرب الى طبقة مائعة تعيش حالة اجتماعية واقتصادية تقع بين البداوة والفلاحة . ولا تعي واقعها الاليم ، ولا تشعر بأن حياتها قد وصلت الى بؤس لا يمكن احتماله ، كما انها ترتبط بالسلطة ارتباطا عشائريا ودينيا ، بالاضافة الى الرابط المادي (عن طريق ما يرسله ابناؤها من الجنود وصغار الموظفين من معونات مالية لاهلهم) ولقد استطاعت السلطات الاردنية اكتساب جزء كبير من هؤلاء الفلاحين عن طريق الدعايات المضادة التي تعتمد على الاقليمية والعشائرية وبعض المغالطات الدينية ، وعبأتهم ضد المقاومة «الفلسطينية» !

٣ ـ منطقة كثيفة السكان تملك مصادر زراعية كافية لتموين رجال العصابات بالمؤن والماء خلال فترة طويلة في حالة انقطاع مصادر التموين القادمة من المدن . والمنطقة التي تحتلها المقاومة قليلة السكان ، تتمركز الزراعة فيها حول قرى كبيرة

يطلقون عليها تجاوزا اسم المدن . وترتبط هذه القرى بشبكة طرق تسهل السيطرة عليها بقوات آلية . اما المناطق الوعرة التي لا تصل اليها الطرق ، ويصعب بالتالي وصول قوات العدو اليها (طالما انه لا يملك حتى الان قوة كبيرة محمولة بالهليكوبتر) ويسهل القتال فيها بالنسبة للعصابات ، فهي فقيرة بمصادر المؤونة الضرورية ، الامر الذي قد يجبر المقاومة ان شاءت البقاء في الجبال ان تقوم بحملات تموينية خاصة وهجمات نحو القرى الكبيرة بشكل تكون فيه مضطرة لمجابهة العدو في المكان الذي يختاره بدلا من ان تجره الى القتال في الامكنة التي تلائمها .

٤ ــ استناد منطقة عمل العصابات الى حدود دولة صديقة مستعدة لتموين المقاومة وامدادها ، وهذا ما لا يتوفر في المنطقة الحالية لتمركز المقاومة ، ولا يمكن ان ينطبق في المستقبل الا على المناطق الشمالية .

وأدى هذا التحليل الى عدم الاكتفاء بحرب العصابات ، بل الاعتماد على «العصابات» في الجبل ، و«الخلايا الصدامية» في المدينة . ومن هنا نبعت جذور موقفها الحازم من مسألة تسليم اسلحة المليشيا ، ورفضها المطلق لتجريد جماهير المدن من سلاحها . فهذه الجماهير قوة كامنة لا تجابه ولا ترى . انها تجبر العدو على حراسة كافة المناطق الحيوية الهامة في المدن بشكل يجعله عاجزا عن جمع اكبر قوة لضرب الجبل .

ووسط كل هذه الظروف الدولية والعربية والفلسطينية ــ الاردنية لا تزال المقاومة تتخبط . وتتصارع المنظمات فيما بينها صراعا صامتا يوميا . كما تتصارع القوى داخل كل منظمة ، ويزداد الصراع حدة مع تزايد العجز امام العدو . ومن المعروف ان تفاهم القوى الوطنية المتعددة يتزايد مع تصاعد الضربات ضد العدو ، كما ان التناقضات الداخلية تتفجر وتنتقل من مرحلة

«الهجوع» الى مرحلة «الصدام» كلما تناقصت الفاعلية ازاء العدو ، وغدت قوى الثورة عاجزة عن التقدم ، واضطرت للمراوحة في مكانها .

وتقوم المقاومة بعمليات نقد ذاتي متتالية ، محاولة بكل اخلاص ان تجد الحلول الجزئية لمشاكلها الجزئية ، ولكنها لا تتعرض غالبا لجذور المسألة وعقدتها الاساسية ، وهي « عدم تناسب القوة المتوفرة مع الهدف الاستراتيجي المطروح ، وعدم العمل على تعديل ميزان القوى لتحقيق الهدف» . ولا يمكن ان تكون اية حلول ملائمة وجذرية الا اذا توصلت لوضع تسلسل جديد لافضليات الاهداف والمهمات في الواقع الراهن ، وحددت الوسيلة والقوى اللازمة لتحقيق كافة الاهداف المتتالية وصولا الى الهدف النهائي .

بيد ان تحديد المهمات والاهداف والوسائل .. الخ عمل ينبثق في الاصل من الرؤيا الاستراتيجية للصراع كله : فلقد اثبتت تجربة المقاومة حتى اليوم ان الصراع لا يمكن ان يكون فلسطينيا ــ اسرائيليا ، وانه صراع عربي ــ اسرائيلي (بالمعنى الكامل لا بمعنى توزيع المهمات المذكورة سابقا) وهو صراع يشكل في ظروف الواقع العالمي جزء من صراع بارد كبير اميركي ــ سوفياتي ، وان الواقع العربي الحالي عاجز عن مجابهة راس الجسر الامبريالي الذي لا يمكن مواجهته الا بدولة طوق ثورية قادرة على تعبئة طاقات الامة كلها وزجها في المعركة ، مع الاعتماد على دول المعسكر الاشتراكي بعد ان تصبح دولة الطوق الثورية جزء من هذا المعسكر ، وتغدو بذلك قادرة على الصراع ضد العدو الاسرائيلي المعتدي الذي يشكل جزء من المعسكر الامبريالي .

وهذا كله يعني سقوط شعار «فلسطينية المعركة» ، الذي لم يتجرأ احد على رفعه بصورة علنية مكشوفة ، ولكنه كان

كامنا وراء تصرفات المقاومة والاستعاضة عن هذا الشعار بشعار «عروبة المعركة» . ولكن ما دام الواقع العربي عاجزا عن التحرير فلا بد من تثويره وتوحيده وبنائه بشكل يصبح فيه قادرا على ذلك .

والاعتراف بهذه الحقيقة يعني سقوط وهم عدم التدخل في شؤون البلاد العربية ، لان واقع هذه البلاد ينعكس على المعركة نفسها بشكل مباشر او غير مباشر . وما ان يتم تثوير بلاد الطوق وتوحيدها وبناء دولة الطوق الحديثة (هانوي العربية) ، وتزج هذه الدولة بامكاناتها وكل دعم الدول الاشتراكية لها في المعركة حتى يصبح شعار حرب التحرير الشعبية ملائما للمرحلة ، وتستطيع الجيوش العربية المثورة التكنولوجية آنذاك العمل الى جانب العصابات ، في حرب عادلة طويلة الأمد تستهدف تدمير البنية العسكرية العنصرية الاسرائيلية – رغم دعم الامبريالية لها – وخلق مجتمع ديمقراطي يكون جزء من دولة الطوق الثورية الاشتراكية .

وقد لا يعجب هذا القول المتعجلين الذاتيين الذين لم يتعلموا من دروس الماضي شيئا ، والمتشوقين للتحرير غدا او بعد غد ، ولكنه السبيل الوحيد «لخلق القوة المتلائمة مع الهدف النهائي» والوسيلة الوحيدة لتبديل ميزان القوى الذي يتم عادة ببناء القوة الذاتية واستنزاف العدو ، شريطة ان لا يكون بناء القوة الذاتية ابطأ من بناء العدو لقوته ، وان لا تكون خسائرنا خلال الاستنزاف المتبادل اكبر من خسائر العدو .

ويمكننا ان نسمي التحرير وتدمير البنية العسكرية العنصرية الاسرائيلية وخلق المجتمع الديمقراطي العربي «الهدف الاسمى» . ولكن الوصول الى هذا الهدف لا يتم دفعة واحدة ولا بد من ان نتصور خلال كل مرحلة من مراحل التنفيذ سلسلة من الاهداف الصغيرة المتتالية التي يؤدي تحقيقها الى الاقتراب خطوة اثر

خطوة نحو «الهدف الاسمى» . ومن المستحيل ، بل ومن الغباء ان نقصر اهتمامنا على الهدف البعيد ونحن امام مسائل ملحة كالحل السلمي ، والدولة الفلسطينية ، وتصفية المقاومة.. الخ ولا بد لنا من تصنيف الاهداف المرحلية التي تفرضها حقائق الواقع الملموسة، وتحديد مهماتنا الاساسية الملحة والقوى اللازمة لتنفيذها . وهذه الاهداف هي :

١ ـ البقاء .
٢ ـ احباط المشاريع التصفوية .
٣ ـ قلب ميزان القوى .

علما بأن تعاقب الاهداف الثلاثة لا يحدد تسلسلها الزمني او اهميتها النسبية ، فهي اهداف متداخلة متفاعلة قادرة على التأثير على بعضها بصورة متبادلة سلبية او ايجابية . كما انها اهداف اساسية يحمل كل واحد منها في طياته اهدافا فرعية.

١ ـ البقاء

«ان خسارة معركة ما تحطم معنويات القوة المسلحة اكثر مما تحطم قواها المادية ، فاذا لم تتبدل الظروف تبدلا ملائما ، فان معركة ثانية تنتهي بهزيمة كاملة قد تصل احيانا الى الابادة ، وهذه قاعدة عسكرية ثابتة» (١) .

فاذا اخذنا اكثر التقديرات تشاؤما وافترضنا ان الضربة الاولى التي تلقتها المقاومة قد وصلت الى حد الهزيمة (العسكرية) فان البقاء وعدم الوصول الى الابادة يعني ان من الضروري العمل على منع العدو من تحقيق اي نصر جديد .

---

(١) كلاوزفيتز «في الحرب» الجزء ١ الكتاب ٤ الفصل ١٣ .

والبقاء في الحرب الثورية عبارة عن نصر ، اذ تنتصر القوى المضادة للثورة في مثل هذه الحروب بضربات الابادة نظرا لانها تكون متفوقة على القوات الثورية التي لا تستطيع تحقيق انتصارات باهرة، ولكنها تحقق النصر بالبقاء رغم كل التجمعات. وتؤكد كافة التجارب الثورية على ان تسديد بعض الضربات الى القوات الثورية لا يؤدي الى تدميرها ، وان الانتصارات الجزئية العسكرية التي تحققها اجهزة القمع (كالانتصارات الجزئية التي حققها الجيش الملكي الاردني الابيض) لا تعني انتهاء الصراع ، اذ «لا يتم انتصار الحرب المضادة للعصابات الا بعد تدمير الحركة الثورية وهيكلها الاساسي ، وتحطيم شبكاتها السياسية والعسكرية» (١) . وكل صدمة لا تقضي على الهيكل الاساسي تعني وجود امكانية شن هجوم مضاد – رغم وجود الجزر الثوري العام – وتعني احتمال انقلاب الهجوم المضاد الى منطلق لمد ثوري جديد .

وينفي هذا التحليل نفيا قاطعا كل تخرصات المتحدثين عن هزيمة المقاومة وانتهائها ، والذين يجدون في اعلان الهزيمة فرصة ملائمة للانسحاب من النضال الفعلي القاسي ، ويتجاهلون بان الثورة لا تتبع خطا مستقيما ، بل تتعرض لمد وجزر ، وتنتقل من ذرى الانتصارات الى وهدة الهزائم . وتتضرس القوى الثورية خلال هذا الطريق الطويل ، وتتعلم كيف تقدر قوتها وقوة عدوها ، وتعدل سياستها وتكتيكها وأساليبها ، لتندفع بعد ذلك بزخم جديد .

والبقاء واستمرار الوجود الثوري والمناخ الثوري رغم هجمات الثورة المضادة يعني فشل تلك الهجمات في تحقيق

---

(١) هوغارد «الحرب الثورية واحلال السلام» Revue militaire D'information عدد يناير (كانون ٢) ١٩٥٧ .

هدفها الاساسي رغم ما حققته من انتصارات جزئية . كما يعني الحفاظ على جذوة الثورة متقدة — ولو تحت الرماد — ولا يمكن ان تستمر هذه الجذوة الا اذا تحقق البقاء . وطرح مسألة البقاء يعني ان هناك احتمالا بعدم البقاء نتيجة استمرار الهجوم المضاد. وهذا كله يعني ان هناك هجوما وان المقاومة تعيش حالة دفاع ناجم عن جزر ثوري طالما انها غير مستعدة للهجوم . وليس الدفاع في حد ذاته هدفا ولكنه وسيلة للبقاء الذي لا يشكل بدوره هدفا مجردا ، ولكنه هدف ووسيلة . انه هدف الدفاع ووسيلة لاعداد الهجوم . بيد أن الرغبة بالبقاء لا تعني الوقوف والمقاومة بسلبية مطلقة ، بل تعني العمل الايجابي داخل افق دفاعي «لان الاستمرار والتحمل وحدهما لا يعتبران قتالا ، والمقاومة عبارة عن نشاط يرمي الى تدمير مجموعة من قوى العدو لاكراهه على هجر مخططه» (١) .

وهذا يعني ان الجهد السلبي الذي يحفظ القوى يبقى مفيدا حتى يتعذر الاستمرار به دون التعرض لاخطار جسيمة ، عندها تختفي مزاياه ويحل محله الجهد الايجابي الذي لم يلغه الجهد السلبي ولكنه وضعه في النسق الثاني .

ويفرض علينا هذا اللجوء الى الافق الدفاعي خسارة جزء كبير من الفاعلية الكامنة في العمل الهجومي ، ولكنه يتلاءم مع واقعنا ، وطبيعة التحديات التي تجابهنا ، وميزان القوى القائم حاليا داخل الاردن والارض المحتلة . خاصة وانه يتطلب قوى أقل وتضحيات اصغر ، ويؤمن لنا الاستمرار في القتال مدة اطول . ويؤخر وقوع المعركة الحاسمة في الزمان والمكان ضمن حدود الظروف التي تسمح بذلك حتى يتبدل ميزان القوى

---

(١) كلاوزفيتز «في الحرب» الجزء ١ الكتاب ١ الفصل ٢ .

لصالحنا فنبدأ الهجوم .

والبقاء بمعناه الواسع يعني البقاء الفعلي في الارض المحتلة، وعلى الارض العربية المحيطة باسرائيل (وخاصة في الاردن) . واذا كان ميزان القوى الحالي لا يسمح حاليا بوجود المقاومة داخل الارض المحتلة الا بشكلها السري فان البقاء يعني الحفاظ على الروح النضالية المصممة على النصر، والرافضة لكل الحلول الانهزامية ، لان هذه الروح وذاك التصميم هما السلاح الاساسي لتأمين تلاحم الجماهير وصمودها ووقوفها الى جانب قضية الثورة رغم القهر وحالات اليأس ، وعمليات التيئيس النفسية والاحتواء الإقتصادي. وبذل الجهد الاقصى لخلق الخلايا الثورية المستقلة في مدن الضفة الغربية وقطاع غزة على ان تكون اكثر استقلالية وأقل مركزية من الخلايا الثورية العاملة حاليا . مع التأكيد على ضرورة التحلي بالصبر الثوري ، وعدم اللجوء الى تبديد القوى، شريطة انلا يُفهم «الصبر الثوري» على انه شكيمة لكبح جماح الروح النضالية ، بل عامل معدل يمنع كل مغامرة انفعالية او مواقف لاعقلانية .

والبقاء في الساحة الاردنية امر لا يقل خطورة عن البقاء داخل الارض المحتلة ، وان يكن ميزان القوى يسمح بان يأخذ البقاء هنا شكلا مختلفا عن سابقه . ولا شك في ان البقاء في هذه الساحة يعني ضرورة وجود قوة قادرة على منع السلطة الاردنية من شن هجوم جديد . ولقد رأينا أن حرب العصابات المطروحة في الجبل لا تملك الشروط اللازمة لجعلها وحدها قوة مؤثرة رادعة ، كما ان الضربة التي اصابت القواعد الثورية في المدن افقدتها جزء من فاعليتها ، والحل الامثل في هذه الحالة **تنسيق القوة الكامنة في الجبل مع القوة الكامنة في المدينة .** اي خلق قوة جبلية سريعة الحركة مستعدة لنجدة المدينة او شن حرب العصابات ضد طرق المواصلات ، وقوة مليشيا مدنية

«خلايا صدامية» قادرة على القيام بعمليات تخريبية واسعة النطاق في مراكز المملكة السياسية والاقتصادية (وخاصة العاصمة) هنا يجد الجيش الابيض نفسه امام قوتين كامنتين تعملان في حقلين مختلفين فان هو هاجم قوة الجبل انفجرت المدينة، وان حاول قمع ثوار المدينة نزل مقاتلو الجبل الى المعركة وضربوا ظهره وقطعوا خطوط مواصلاته ، وهذا ما يجعل العدو امام معضلة دائمة وحيرة مستمرة . وتستطيع المقاومة في هذه الحالة ان تحقق البقاء بسبب سلبية العدو وامتناعه عن الحركة خشية الاشتباك علما بان «احتمال الاشتباك رادع كالاشتباك» كما انها تحقق البقاء حتى في حالة تحرك العدو ، وذلك عن طريق «العصيان المنسق» المستند الى الجبال والمدن .

٢ ـ احباط المشاريع التصفوية :

ان علينا ان لا نعتبر المشاريع التصفوية قدرا محتوما لا خلاص منه ، فما هي الا انعكاس للواقع العربي ، وواقع موازين القوى ، ولا يمكن احباط هذه المشاريع بالعويل الاذاعي ، او التصريحات الصحفية . والوسيلة الوحيدة للاحباط هي تعديل ميزان القوى لصالح القوى الثورية المعادية له .

ولا يكفي ان تقف المقاومةمنددة بالمشاريع التصفوية رافضة للدولة الفلسطينية ، فالرفض وحده موقف سلبي ، قد يعبر عن حالة ذهنية معينة، ولكنه لا يستطيع تبديل سير الامور . ولا يمكن ان تبدل المقاومة خط سير المشاريع المشبوهة ، وتقلب الرفض اللفظي الى رفض حقيقي **الا اذا كانت متحدة القوى قادرة على الاستمرار في النضال اينما كانت ضد كل مؤيدي الحلول والعاملين على تنفيذها** . و«العصيان المنسق» هنا وسيلة فعالة قادرة على الضغط والفعل ، وسبيل مضمون لمنع الدولة الاردنية من السير بعيدا على هذا السبيل . ومعركة ابطال الحلول

واحباطها معركة مصيرية يكمن الخطر الاساسي فيها من تباين وجهات النظر في حالة ظهورها داخل صفوف المقاومة ، وهذا ما يطرح امامنا مهمتين على غاية من الاهمية ، وهما :

١ ـ تشكيل الجبهة العربية الثورية المضادة لكل الحلول التصفوية بغية حشد الطاقات العربية كلها في المعركة .

٢ ـ طرح الوحدة الوطنية (الجبهوية) داخل حركة المقاومة بشكل ملحّ وكثيف .

واذا كان بوسع المنظمات في المراحل السابقة النظر الى الوحدة الوطنية كمهمة من المهمات ، فان عليها اليوم ان تضعها على رأس المهمات لانها تساعدها على خلق الحربة ، وتسد الثقوب التي يمكن ان يفتحها العدو في الدرع .

٣ ـ قلب ميزان القوى :

ان القوة الثورية التي تدعو الى مجابهة العدو بحرب طويلة الامد ، هي في الاصل قوة مضطرة للدفاع ، ولو لم تكن مضطرة لذلك للجأت الى استراتيجية الافناء (الهجومية) بدلا من استراتيجية الاجهاد (الدفاعية ـ الهجومية) . واضطرارها الى الدفاع يعني ان ميزان القوى لا يسمح لها بالهجوم ، وانها تستخدم الدفاع (وحرب العصابات جزء من الدفاع) بانتظار قلب ميزان القوى . ولكن قلب ميزان القوى لا يتم عن طريق السلبية ، فهو صراع يومي وسباق دائم مع عدو يعمل كل ما في وسعه للحفاظ على ميزان القوى بوضعه الراهن الملائم له . وضمن هذا الافق يمكننا ان نعرف فيما اذا كان الزمن يلعب لصالحنا ام لصالح العدو . ان الزمن لا يلعب لصالح احد . ولكن اتجاه تبدل موازين القوى داخل الزمان ـ اي الترابط ما بين القوة والزمن على منحنى الحركة ـ هو الذي يحدد الربح او الخسارة التي يحققها كل طرف من الطرفين المتنازعين مع مرور الزمن .

ولا يمكن قلب ميزان القوى الا عن طريقين : استنزاف العدو ، وتنمية القوة الذاتية ، فكل خسارة تصيب العدو تعني نزولا في كفته وصعودا في كفتنا يعادل النزول الذي تحقق عنده . وكل زيادة في قوتنا تعني هبوطا جديدا لدى العدو ، والعكس صحيح . والاستنزاف (المادي والمعنوي) متبادل بالضرورة ، وليس هناك خصم جامد بصورة مطلقة ، ولكل خصم مهما بلغ من السلبية ردود فعل محددة صغيرة كانت ام كبيرة ، ومن المؤكد ان علينا خلال الاستنزاف المتبادل ان تكون خسارة العدو اكبر من خسارتنا حتى يتم قلب موازين القوى بسرعة . ولكن هناك حالات نقبل فيها وقوع الاستنزاف حتى ولو كانت خسارتنا اكبر من خسارة العدو ، نظرا لان امكاناتنا وقوانا الاحتياطية تسمح لنا بذلك ، شريطة ان لا تتجاوز خسارتنا عتبة عليا محددة وان لا تقل خسارة العدو عن عتبة دنيا محددة والا ادى الاستنزاف الى تبديد قوانا الاحتياطية .

وهنا لا بد ان نتساءل هل يسمح ميزان القوى الفلسطينية ــ الاسرائيلية بمثل هذا الاستنزاف ؟ وهل يسمح ميزان القوى العربية ــ الاسرائيلية بواقعها الراهن بمثل هذا الاستنزاف الذي يتم حاليا في مجابهة تقليدية يتفوق العدو فيها (ماديا ومعنويا) قبل بدء الاستنزاف ؟ والجواب في الحالتين كلا .

ان استنزاف العدو الاسرائيلي لا يمكن ان يتم فلسطينيا بل عربيا ، وهو لا يتم عربيا بالشكل التقليدي اي في مجال تفوق العدو بل يتم عربيا في المجال الذي يتفوق فيه العرب، اي مجال الحرب الشعبية التي تزج كافة قوى الامة وعبقريتها في المعركة، وتستنفر جماهير الامة كلها وتقلبها من كمية مهملة الى كمية فاعلة متفوقة . وهذا ما ينقلنا من بحث الاستنزاف الى بحث تنمية القوة الذاتية الفلسطينية اولا والعربية ثانيا .

وما دامت المقاومة الفلسطينية تشكل طليعة الثورة وأداتها ورأس حربتها ، فان تنمية هذه المقاومة وتوحيدها (جبهويـــا) ورفع مستوى تسليحها وتدريبها وكوادرها ، وتأمين تلاحمها مع الجماهير ، وتدعيم الحزب الثوري القادر علـى تأطير هــــذه الجماهير وقيادتها جزء من بناء القوة الذاتية. وهو جزء اساسي، ولكنه يبقى مع ذلك داخل اطار الكل، المتمثل في زج الجماهير العربية كلها في المعركة .

ولا يمكن ان تتم هذه المهمة الاساسية الا بعد تثوير المنطقة العربية ، بكل ما في التثوير من معنى يصل حتـــى حدود **بناء مجتمع ديناميكي عصري على مستوى المجابهة والخطر .**

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل ينبغي على المقاومة ان تشن الثورة في البلاد العربية ، وان تكون بديـــلا للثورة العربية ؟ كلا .

ان دور المقاومة هو الحفاظ على الوضع الثوري وتصعيده، والاستمرار في مجابهة العدو الاسرائيلي، واعطاء الدروس الثورية العملية كل يوم في مجالات التنظيم والتوعية والاعداد والقتـال والتضحية ، وتجذير التقاليد الثورية التي ستنتقل بالعدوى . ولكن هذه المشاركة السلبية (اعطاء المثل) لا تنفـي المشاركــــة الايجابية اذ تستطيع المقاومة ان تكون طليعة ثورية وخميرة ثورية في كل قطر ، وان تقدم العون والمساعدة للقوى الثورية في كل مكان بشكل يتلاءم مع طبيعة هذه القوى ، وحاجاتها ، ومراحل نموها ، واساليب نضالها .

وينقلنا «تثوير المنطقة» و«تعريب الصراع» و«قوميـــة المعركة» ... الخ الى نقد فكرة «الدولة الفلسطينية الديمقراطية» اذ كيف يمكننا ان نفهم «فلسطينية» هذه الدولة ما دامت القوة المدعوة لتحقيقها اي لتحطيم العدو الصهيوني المعارض لانشائهـا

هيّ قوة عربية بالضرورة ؟ وكيف يمكن فهم «فلسطينية» الدولة دون افق عربي «وحدوي ثوري» ما دام الشرط الاول اللازم لشن حرب التحرير الشعبية التي ستؤدي الى تحطيم البنية العسكرية العنصرية الاسرائيلية هو خلق دولة الطوق الثورية اي توحيد الدول المحيطة بعد تثويرها ؟ وهل يمكن ان نقول بأن شرط التحرير هو التوحيد وزج القوى كلها في المعركة ، ثم نستنتج بعد ذلك ان الهدف هو خلق دولة «فلسطينية» ، اي «كيان مستقل» خارج هذا البنيان الوحدوي الديمقراطي الثوري؟ كلا . ان ميكانيكية التحرير ، وحقيقة موازين القوى ، والبنية التي ستأخذها المنطقة قبل الوصول الى التحرير تفرض بالضرورة ان تكون فلسطين الديمقراطية المحررة جزء من هذا الكيان العربي الديمقراطي ، وكل فهم معاكس لطبيعة المنطقة يعني فكرا اقليميا يتجاهل طبيعة المراحل الضرورية والقوى اللازمة لتحقيق «الهدف الاسمى» .

***

مهمات طويلة تنتظر المقاومة في المرحلة القادمة ، وطريق طويل لا بد لها ان تسيره حتى تتحقق ظروف حرب التحرير الشعبية طويلة الامد . ومعضلات عويصة ستجابهها ، ولا بد لها من حلها ضمن افق عربي واسع ، وفهم استراتيجي سليم ، مع تأمين مطابقة الهدف دائما مع الوسيلة كشرط اساسي لكل نجاح .

ان عملية بناء الحزب الثوري الحقيقي ، المنضبط والملتزم والمدرب على حمل السلاح ، والقادر على خوض المعركة واعتبارها علما له قواعده واصوله ، المبتعد نهائيا عن الشكلية والتجمعات العشائرية والولاءات الفردية والميوعة الفكرية ، ان هذه العملية

التي يجب ان يضاعف تسارعها ، هي الطريق نحو تحقيق المهام العظيمة المطروحة امام نضال شعبنا .

ان الطريق طويل ، والخطوة الاولى هي بناء الحزب ضمن صراعنا من اجل البقاء . فلتكن مهمتنا اليومية الخاصة بنــــاء الحزب ، ولتكن مهمتنا الفلسطينية وحدة المقاومة والابقاء علــى جذوة النضال ضد العدوان متقدة ، ولتكن مهمتنا العربيـــــة احباط المشاريع التصفوية وتثوير المنطقة ، ولنسر خطوة اثـــر خطوة حتى نحقق «**الهدف الاسمى**» .

تفتيت جيش القمع واجب ثوري

« من المؤكد انه اذا لم تشمل الثورة الجماهير والجيش نفسه فلا يمكن اطلاقا ان تكون ثمة اي نضال جدي »

لينين

١ ــ مدخل

شهدت الارض الاردنية في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ صراعا داميا كان حلقة من حلقات الصدام المستمر منــــذ امد بعيد ، والدائر حتى اليوم بين قوى القمع الرجعية الفاشية وقوى الثورة المتنامية يوما بعد يوم . ولقد اختلفت حدة الصدامات وطبيعة القوى المشتركة فيها حتى كانت احــــداث سبتمبر (ايلول) ، فاشتركت فيها كافة قوى الثورة المضادة (الجيش ــ الشرطة ــ القوات الخاصة ــ المليشيا المزيفة) في محاولة يائسة للقضاء على المقاومة بعملية تكنيس كاملة . وبالرغم من فشل عملية التكنيس العسكرية ، وبالرغم من انضمام اعداد من الضباط والجنــود الوطنيين ــمن اردنيــين وفلسطينيين ــ الــى صفوف الثورة ، وخاصة في المناطق الشمالية ، فقد كان هناك سؤال اساسـي يقول : لماذا لم يتفتت الجيش خلال الصراع رغم وجود عدد كبير من الوطنيين الاردنيين والفلسطينيين داخل صفوفه ، ورغــم

تكوّن معظم جنوده من الطبقات المسحوقة التي لا ترتبط بالطبقات الحاكمة المستغلة مصلحيا – باستثناء الجنود المنحدرين من اصول بدوية والمرتبطين بالحكم برباط عشائري يطغى على وضعهم الطبقي الذي لا يعوه اصلا ؟.

ويبقى السؤال بلا جواب مقنع حتى تقوم منظمات المقاومة بتحليل علمي يحدد تكوين هذا الجيش، وطبيعة عناصره وكوادره، ودوافعه المادية والمعنوية ، واساليب التعبئة النفسية المطبقة فيه ، وسلبيات المقاومة التي ضخمتها بعض اجهزة الاعلام العربية ، واستغلتها مصلحة التوجيه المعنوي داخل القوات المسلحة .. ثم تبني على هذا التحليل استنتاجات ومشاريع وحلول للمستقبل .

وحتى يتم هذا الامر ، وحتى تنجلي حقائق هذه الزاوية الغامضة من زوايا انتفاضة سبتمبر (ايلول) الدامية . فلا بد لنا من القاء الضوء على هذا الجزء من الحرب الثورية وهو جزء «تفتيت قوى القمع المضادة» سواء كانت قوى قمع خارجية ، او داخلية ، او خارجية وداخلية بآن واحد ، وتعديد مضامينه وابعاده ، وتقنية تنفيذه العملية ، استنادا الى حقائق واقعنا ، وتجارب الشعوب التي سبقتنا في هذا المضمار .

من المعروف ان التناقضات قائمة داخل كل مجتمع بين المضطهِدين الذين يملكون كل شيء والمضطهَدين الذين لا يملكون سوى قوة عملهم . وسواء اكان المضطهِدون اقطاعيين أم رأسماليين ام غزاة اجانب ، ام عملاء لهؤلاء الغزاة فانهم يستخدمون الاساليب نفسها ، وان اختلفت تفصيلات الاستخدام التقنية باختلاف المجتمعات ومراحل التطور البشري . والاسلوب الاساسي الذي يلجأ اليه المضطهِدون للحفاظ على امتيازاتهم هو الاختفاء وراء الشرعية – كما يحددونها هم ومؤسساتهم

التشريعية ـ واستخدام القوة المسلحة لضرب المضطهَدين عند اول بادرة تدل على تذمرهم او رغبة بتغيير الوضع القائم الى وضع أقل عسفا . وهم يعرفون تمام المعرفة ان الامور تبدأ بسيطة ثم تتصاعد وتنتشر حتى تصبح ازمة عامة . ويدركون كل الادراك ان التعبير عن التذمر يتم في بداية الامر بمظاهرة او اجتماع ، ثم تنتشر العدوى بسرعة تتناسب مع شعور الشعب بالقهر ، وحسن تنظيم طلائعه الثورية ، وقدرتها على القيادة واختيار اللحظة الملائمة لتصعيد الازمة الى نقطة اللاعودة ، وديناميكية العنف ، والرد على العنف ... الخ .

وتخيف هذه الحقيقة المضطهِدين الذين يحاولون قمع اصغر مظاهر التمرد بعنف ووحشية لانهم يرون فيها جنين خطر اكبر . وهم لا ينسون ابدا قول وزير الداخلية البروسي فون بوتكامر «كل اضراب ينطوي على تنين ثورة» .

ويلجأ المضطهدون في عصرنا الى استخدام القناع الديموقراطي ، ويستخدمون اساليب الرشوة والتدجين والدس لتفتيت وحدة المضطهَدين ، وتضليل وعيهم بالظلم والقهر (سواء اكان هذا القهر قوميا ناجما عن احتلال ، او طبقيا ناجما عن استغلال) . ولكن تطور النزاع يجعلهم يخلعون القناع بكل سهولة، ويتجاهلون الشرعية ، ويستخدمون القوة العسكرية لسحق الجماهير التي لا يمكن ان ترد على العنف الا بالعنف «فليس العنف حقا موروثا للمستغلين ، ويستطيع المستغلون بل ومن واجبهم ان يستخدموا العنف في اللحظة الملائمة» (١) .

ومهما يكن عنف قوات القمع شديدا فانه عاجز عن ايقاف

---

(١) أرنستو تشي غيفارا ، «حرب العصابات» ، دار دمشق ، دمشق .

المد الثوري . وقد يعرقل تقدمه ولكن عملية الصراع تستمر بلا انقطاع ، وفي بداية القرن التاسع عشر قالت مدام دوستايل : «ان الالزام والاكراه في السياسة لا يؤديان الى اية نتيجة ، اذا لم تكن هذه النتيجة هي ضرورة الاكراه والاستمرار في فرضه، واستمرار معركة لا نهاية لها» . والمعركة هنا صراع عنيف وحرب ضد الغزاة او حرب اهلية ، يرفض معها المستغلون افكار المسالمين البورجوازيين من انصار «السلام» ودعاته ويعترفون تماما بشرعية الحروب الاهلية التي يخوضها المظلومون ضد من ظلموهم طويلا ، وطابعها التقدمي وضرورتها ، ويرفضون الاستخذاء امام الشرعية (المصطنعة) ويحاولون استغلالها لنشر الفكر الثوري ، ثم يخرقونها عندما يحين الوضع الثوري الملموس الملائم . ويؤكد لينين على ضرورة عدم البدء بخرق الشرعية ، ويذكر في هذا الصدد قول انجلس «اطلقوا النار انتم اولا ايها السادة البورجوازيون » (الاشتراكية والحرب) للدلالة على ان من واجب القوى الثورية ان تخرق الشرعية بعد خرق البورجوازية لها.

ويستخدم المضطهدون في هذا الصراع جماهيرهم المسلحة، وعصاباتهم ، ومنظمات الميليشيا الثورية على حين يلجأ المضطهدون الى الجيش الدائم والشرطة اللذين يمثلان الاداة الرئيسية لسلطة الدولة (الممثلة للمضطهِدين) . وهذا يعني ان صراع المضطهَدين ضد الدولة التي تمثل مصالح اعداءهم هو في نهاية المطاف صراع ضد الجيش ، وهذه نتيجة منطقية يفرضها المبدآن المعروفان : «الجيش يعود للدولة» و«من بيده الجيش بيده الحكم» . والصراع بين الجيش وقوى الجماهير المسلحة يعني تخلي هذا الجيش عن مهمته الاساسية في حماية مجموع «الامة» للقيام بمهمة حماية جزء صغير مستغِل لجماهير هذه الامة، وهذا ما يفقده الحق بولاء الجماهير نظرا لزوال المبرر الذي يعطيه

الحق بالوصول الى هذا الولاء وهو «الدفاع» عنها . وبهذا نصل الى جذور استنتاج دوغلاس برافو الذي يقـــول : «ان الجيش الذي يشترك مباشرة في مذابح الفلاحين ، وفي الهجمات علـى القرى هو الان اداة الامبريالية والاوليفاركية ، وهو لذلك يؤلف العدو رقم ١» (١) والذي لا يختلف في جوهره عن استنتـــاج ارنستو تشي جيفارا «ما دام معلوما ان العدو سوف يقاتـــل لصون سلطته السياسية ، وجب النظـــر في ازالـــة جيش القمع» (٢) .

ولكن ازالة جيش القمع (العدو رقم ١) وكافة قوى الثورة المضادة امر لا يمكن ان يتم الا خلال صراع شاق طويل الأمـد ، تشنه القوى الثورية لقلب ميزان القوى الذي يكون في بدايـــة الامر لصالح العدو (الخارجي او الداخلي) . ولا يمكن الوصول الى هذه الغاية الاساسية التي تفتح طريق النصر الا عن طريـق تنمية القوى الذاتية ، واضعاف قوى العدو بضربه وتفتيتـــــه واكتساب جزء من قواته . ومن هنا تبدو لنا اهمية «التفتيت» كجزء من اساليب الحرب طويلة الأمد ، وكتطبيق عملي للمبـدأ الليتيني القائل بضرورة تأجيل العمليات الى ان يسمح تفكـــك العدو بتوجيه الضربة القاضية اليه بسهولة .

ولقد وعى اعظم القادة الثوريين اهميـــــة تفتيت الجيش واكتسابه خلال الصراع ، واشار لينين الى هذا الامر اكثر مـــن مرة وتحدث عن دور الجيش في قلب موازين الصراع عندما حلل الثورة الروسية وقال خلال ذلــــك : « وسياسيا ، مـــا كان

---

(١) دوغلاس برافو «الثورة المسلحة في فنزويلا» ص ٨٠-٨١ ، دار الطليعة ، بيروت .

(٢) جيفارا ، المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

بوسعنا ان نحتفظ بالحكم في ٣ و٤ يوليو (تموز) ، لانه كان بامكان الجيش والملحقات ان تزحف على بتروغراد ، ولكانت زحفت على بتروغراد قبل فتنة كورنيلوف» (١) . وتطرق جياب الى هذا الموضوع الحيوي عندما تحدث عن ان لدى قوات التحرير المسلحة الفيتنامية اساليب قتال مخصصة لتدمير مواقع العدو ، واساليب اخرى تؤمن القتال مع توعية الجنود في سبيل تفتيت القوات المسلحة . ولقد اكد ماوتسي تونغ على ضرورة اكتساب الجيش خلال تقييم عمل الحزب في فترة ١٩٢١ ــ ١٩٢٦ في مقالة مسألتا الحرب والاستراتيجية(١٩٣٨) التي وجه فيها عدة انتقادات ، منها ان الحزب «كان يهمل كسب الجيش ، ويركز اهتمامه على الحركة الجماهيرية فقط» (٢) ، كما اكد ذلك عندما تحدث عن المبادىء الثلاثة الكبرى للعمل السياسي في الجيش واعتبر تفكيك القوات المعادية واحدا منها.

واذا عدنا الى مراجع الاممية الشيوعية وجدنا كثيرا من الفقرات التي تتحدث عن موقف البروليتاريا حيال الجيش البورجوازي ، ولكن اهم الوثائق الخاصة بهذا الموضوع هي مقررات المؤتمر الدولي السادس حول الصراع ضد الامبريالية ، لانها عبارة عن برنامج ماركسي ــ لينيني كامل يطرح معضلات الصراع ضد مختلف انواع الجيوش ، وفي مختلف مراحل الثورة حسب طبيعة هذه الجيوش (جيوش وطنية مبنية على الخدمة الالزامية ، جيوش مرتزقة ، جيوش امبريالية ، جيوش

---

(١) لينين «مختارات» المجلد ٢ ، الجزء الاول ، ص ٥٠٩ ، دار التقدم ، موسكو .

(٢) ماوتسي تونغ «كتابات عسكرية» ص ٣٥٣ ، دار ابن سينا ، بيروت .

متطوعين) ويقدم الاساليب العملية التي تحدد تكتيكات الصراع ضد الجيوش بالارتباط مع النضال السياسي لاعداد الثورة وتنظيمها .

ويتضح لنا من كلما تقدم اهمية تفتيت قوى العدو بصورة عامة ، شريطة ان لا يتم «التفتيت» معزولا عما يجري حوله ، وان تقوم به قوى الثورة كجزء من الصراع غير المباشر الرامي الى تفتيت كافة مؤسسات العدو ، وكقسم من نضال الجماهير العام في جميع خلايا الامة .

٢ ـ قوات القمع

ولكن قبل ان نقوم بالحديث عن تفتيت القوات التي يستخدمها المضطهدون لتحقيق اهدافهم لا بد ان نقوم باطلالة عامة على هذه القوات المناوئة للجماهير (وطنية كانت امامبريالية) والتي تقسم عادة الى الاقسام التالية :

١ ـ الجيش النظامي .
٢ ـ الطيران .
٣ ـ الاسطول البحري او النهري .
٤ ـ الشرطة والدرك .
٥ ـ الاجهزة السرية .
٦ ـ المليشيا العميلة .
٧ ـ العصابات المزيفة .

١ ـ الجيش النظامي

هو القوة الرئيسية القادرة على مجابهة الثورة ، فاذا كان مخلصا للدولة التي يعمل في خدمتها ولم تكن التخمرات الثورية قد وصلت فيه الى حد متقدم شكل خطرا على القوى الثورية ومستقبل الثورة كله . ويستطيع الجيش مجابهة العصابات

الثورية بفاعلية كبيرة في الاراضي المكشوفة وخلال المعارك التقليدية ، ولكنه يفقد جزءا كبيرا من فاعليته في المدن والغابات والجبال ومناطق المستنقعات . ويتألف الجيش من القوات التاليـة :

آ ـ **المشاة** : وهي سلاح يضم معظم المقاتلين . وتنحدر غالبية جنوده من الفلاحين الفقراء، والعمال، وعناصر بروليتارية بصورة عامة . ويتسلح افراده بالبنادق والرشاشات والقنابل اليدوية وبعض الاسلحة المتوسطة والثقيلة (هاون من مختلف العيارات ـ مدافع ١٠٦ الخ) ويسمح له تسليحه وتشكيله وتدريبه بالقتال في الريف والمدينة بشكل مجمع (كتيبة ـ لواء) او بمفارز صغيرة (جماعة ـ فصيلة ـ سرية) ، ويستطيع افراده القتال راجلين او راكبين على الاليات المدرعة (نصف مجنزرة) ، ويمكن نقلهم برا وجوا وفي مختلف مراحل المعركة وظروف القتال .

بيد ان تكوين هذا السلاح ، واحتواءه على جنود منحدرين من طبقات مضطهدة يجعله مؤهلا لتقبل عملية الحرث الثوري ، وخاصة عندما ينزل الى المدن والقرى ويحتك بالعمال والفلاحين. وتزداد امكانية تأثر الجنود في قتال الشوارع نظرا لتجزئة قوات المشاة وعملها بمفارز صغيرة بعيدة عن مراقبة قيادتها المتشنجة ، ونظرا لاحتكاك الجندي المباشر مع المآسي التي يتعرض لها المدنيون (وخاصة الاطفال) في معارك الشوارع . وهذا ما يجعل الجنود مؤهلين نسبيا لتقبل الدعاية الثورية ، ويفرض على القوى الثورية استخدام القناصة ، وهجمات الفدائيين الفردية، وكل الاساليب المعهودة للقضاء على القيادات التي تعيق بمراقبتها المستمرة عملية التخمر الثوري .

ب ـ **المدرعات** : يملك سلاح المدرعات دبابات ومصفحات مزودة بالمدافع والرشاشات وباصقات اللهب . وهو يعمل

بالتعاون مع المشاة ويستطيع القتال في الريف والمدينة وله تأثير مادي ومعنوي كبير . ومن المعروف ان تأثير هذا السلاح ضد العصابات الثورية في الريف اكبر بكثير من تأثيره في المدينة، لان وجود الاسلحة المضادة الخفيفة (ر.ب.ج-٢ ، ر.ب.ج-٧، م-٥٧، قنابل يدوية مضادة للدروع ، قنابل محرقة .. الخ) بيد رجال العصابات ، واستخدام مفارز الرصد ، ومفارز قناصة الدبابات، ومفارز الاقتحام (١) التي تقاتل ببطولة يعرفها من شهد بطولات مفرزة الرفيق ابي صالح في مقاومة الدبابات في الوحدات ، واعداد القتال ضد الدبابات في المدن بشكل ممتاز يجعل استخدام هذا السلاح في الشوارع ، وأمام الحواجز والمتاريس ، امرا محفوفا بالمخاطر والعقبات، وتقدم لنا انتفاضة هامبورغ (اوكتوبر ١٩٢٣) وانتفاضة الاردن (سبتمبر ١٩٧٠) امثلة ملموسة عن هذه الصعوبات .

والمدرعات هي الوريث الشرعي لسلاح الفرسان الذي كان يضم في الماضي عناصر من الفلاحين الموسرين العاملين تحت قيادة نخبة من الضباط المرتبطين بالسلطة الى ابعد الحدود . ولقد كانت الخيالة فيما مضى معقل الرجعية ، وكان لها في المعارك ضد القوى الثورية صولات وجولات . ورغم اختلاف سلاح المدرعات عن سلاح الفرسان من الناحية التقنية واساليب الاستخدام ، فقد حمل سلاح المدرعات معه بذور نفسية الخيالة التي لا يخفف منها الا اضطراره ، كسلاح آلي ، لاستخدام عدد من المثقفين وعمال المدن .

ج - **المدفعية** : وهي سلاح يملك قوة نارية هائلة، ويستطيع الرمي بشكل مباشر او غير مباشر ومن مسافات مختلفة باسلحة

---

(١) راجع فصل «قتال العصابات ضد الدبابات في المدن» .

متعددة العيارات وبقنابل مختلفة الانواع منها ما هو معد للتدمير (متفجرة) ، ومنها ما هو مخصص لقتل الاشخاص المكشوفين (منشار) .

وتستخدم المدفعية في القتال ضد العصابات في الريف والمدينة ، ويمكن استخدامها بفاعلية في الجبال (المدفعية الجبلية ـ الهاونات) . ويصل تأثيرها المادي والمعنوي الى ذروته في المدن وضد السكان ورجال العصابات الذين لا يستخدمون الحفر ، ولا يتقنون اساليب الالتجاء . ولكن التجارب تؤكد على ان تأثيرها ينخفض بصورة ملموسة حتى يغدو معدوما اذا ما كانت العصابات مدربة بشكل راق ومستعدة لتأمين تناوب الحفر والحركة في كل ظروف المعركة .

وتضم المدفعية عددا كبيرا من بروليتاريي المدن ، ويكون قسم كبير من ضباطها من المثقفين الليبراليين المتعاطفين مع القوات الثورية الوطنية (غير الماركسية ـ اللينينية) ولا يرتبطون مع سلطات القمع برباط مصيري وثيق .

د ـ الاسلحة والمصالح الخاصة : كالمهندسين والاشارة ، والنقل ، والاسلحة الكيميائية .. الخ. وهي تعمل في خدمة الاسلحة الثلاثة الرئيسية . ويشبه تكوينها الداخلي تكوين سلاح المدفعية ، وهذا ما يجعلها كسلاح المدفعية ارضا خصبة للحرث الثوري على الصعيدين الوطني والماركسي ـ اللينيني .

هـ ـ القوات الخاصة : هي مجموعة عسكرية مختارة من الجيش النظامي ، وقد تكون من المشاة او المظليين او الخيالة او المدرعات او الكوماندوس ، شريطة ان تمتاز بولائها المطلق الذي لا شك فيه، واعدادها النفسي لمجابهة العصابات وقمع الانتفاضات بوحشية ، وتدريبها وتسليحها بشكل يساعدها على تنفيذ هذه المهمات . ولقد عرف تاريخ روسيا القيصرية «المائة السود»

و«الفرقة الوحشية» من القوزاق التي كانت تقمع كافة الحركات الثورية والانتفاضات المسلحة ، كما عرفت روسيا بعد الثورة «كتيبة الموت» من الفتيات المعاديات للبلشفية والعاملات مع كيرنسكي ، وبعض قطعات «الكاديت» المضادة للثورة واستخدام الالمان في الحرب العالمية الثانية وحدات «كوماندوس المطاردة» لمجابهة العصابات السوفياتية ، ولما انتهت الحرب العالمية الثانية وامتدت الحركات الثورية بشكل واسع وتدنت معنويات قوات الجيش العادية ، لجأت قوات القمع البريطانية (ماليزيا وكينيا) والفرنسية (في الهند الصينية) والاميركية (في كوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية) الى الحلين التاليين : اولا — اختيار قطعات كاملة من الجيش ورفع مستوى تدريبها واعدادها النفسي ، ومنحها بعض الامتيازات المالية (منح — ترقيات — زيادة رواتب — اجازات . . الخ) لاستخدامها ضد العصابات، وفرقتا النخبة: «النمر» و«التنين الازرق» في فيتنام الجنوبية خير مثال على ذلك . ثانيا — تشكيل قطعات خاصة ، مثل «الرينجرز» و«القبعات الخضراء» الاميركية المتخصصة بمقاتلة العصابات في الادغال ، ووحدات «القناصة» في فنزويلا ، و«الجرذان الخضراء» الفيتنامية الجنوبية المتخصصة في مقاتلة العصابات المختفية في السراديب والانفاق ، و«قطعات الصاعقة» الاردنية المعدة لقمع الحركة الوطنية والتي تتدرب وتتسلح تحت اشراف خبراء غربيين بحجة الاستعداد لعمليات خاصة ضد العدو — لم نسمع حتى الان بعمليات خاصة قامت بها هذه القوات داخل الارض المحتلة — و«وحدات البادية» التي كانت منذ ان شكلها الجنرال غلوب وزودها بالمصفحات اداة القمع الاساسية بيد السلطة الاردنية . .

واذا كان الالمان هم اساتذة فن تشكيل القوات الخاصة في

الثلاثينات والاربعينات ، فان المدرسة الاميركية المعاصرة هي احدث المدارس في هذا المضمار . وتتعرض القطعات الاميركية الخاصة وكافة القطعات المبنية على غرارها الى تربية ايديولوجية ونفسية خاصة ترفع مستوى الحقد والعنف والروح العدوانية لدى افرادها ، كما ان حسن اختيار الرجال وتدريبهم البدني العنيف يجعلهم قادرين على العمل بفاعلية كبيرة خلال الكمائن والدوريات وكل عمليات الردع بمختلف اشكالها . ويؤهلهم لاستخدام الخنجر وضربات اليد والذراع (كاراتيه) كيما يقتلوا خصمهم دونما ضجيج . والحقيقة ان سفك الدماء غدا جزء من طبعهم ، وتغلبت روح المقاتل عندهم على روح الانسان .

وبالرغم من انحدار جنود هذه القوات من الطبقات المضطهدة فان التربية الايديولوجية المضادة ، وعمليات الاعداد النفسي المركزة تجعل منهم ارضا لا تقبل الحرث السياسي الثوري بسهولة .

٢ ــ الطيران

لم يلعب الطيران في مجابهة الثورات الماضية دورا كبيرا ، ولكن التطور التقني جعله يلعب بعد الحرب العالمية الثانية دورا يتزايد مع الزمن . ويستطيع الطيران اليوم القيام بعدة مهمات في الحرب المضادة للعصابات ، فهو يقوم بالاستطلاع وينقل المؤن والعتاد ، ويؤمن دعم القوات البرية المضادة ، ويحمل فرسان الجو بالهليكوبتر الى قلب المعركة ، ويخلي الجرحى ، ويساعد القوات المحاصرة على الخروج من الطوق . وترتفع فاعلية الطيران في الارض المكشوفة وضد العصابات المجمعة ، وتتناقص في الاراضي المتضرسة والمغطاة بالغابات ، حتى تصل الى الحد الادنى عند العمل ضد العصابات الثورية التي تقاتل بمفارز صغيرة في المدن او الادغال، وتتقن فن الخداع واستخدام الحفر

والتمويه . ويختلف سلاح الطيران عن غيره من الاسلحة بأنه يضم نسبة كبيرة من التقنيين والميكانيكيين والكهربائيين .. الـخ .. ويمكن اعتبار الضباط الطيارين والفنيـين كضباط المدفعيـــة والاسلحة الخاصة ، وتوجيه الدعاية الثورية لهم على هــــذا الاساس . ولكن تركيب سلاح الطيران واعتماد الطائرات المقاتلة على الخدمات التقنية الارضية ، وانحدار معظم العاملين في هذه الخدمات (الجنود وصف الضباط) من الطبقة العمالية المدنية او اتصالهم بها يجعل من الضروري التركيز على تفتيت هذا الجزء من السلاح بشكل يشل عمل الجزء القتالي الذي يلاقي العمـل السياسي في داخله صعوبات اكبر .

٣ ـ الاسطول البحري او النهري

يشكل الاسطول قوة نارية جبارة ، ولكنهـا محـــدودة الاستخدام . فاذا استثنينا قطعات الانزال ومشـــاة البحرية ، وجدنا ان مدافع الاسطول البحري لا تستخدم الا ضد الاهداف والتجمعات الواقعة على الشواطىء او في المدن الساحلية . اما الاساطيل النهرية فهي اكثر مرونة وأشد قدرة على الحركـــة والمشاركة في القتال . ولقد استخدمها الفرنسيون في فيتنـام ثم حسن الاميركيون اساليب الاستخدام في بدايـــة عام ١٩٦٧ عندما خلقوا «اساطيل انقضاض نهرية» تتألف من قوارب انزال مسلحة بمدافع ٢٠ و٤٠ ملم ، وهاونات ٨١ ، ورشاشات ثقيلة، وقاذفات رمانات م ١٨ ، وحاملات جنود مدرعة . وتستطيـــع قوات القمع عند اللزوم استخدام البحارة انفسهم كقوة مشـــاة للعمل بمفارز صغيرة في المدن ـ «كمحاولة استخدام بحـــارة

الطراد «هامبورغ» ضد الثوار في انتفاضة هامبورغ عام ١٩٢٣» (١) .

فاذا حللنا طبيعة قوة الاسطول وجدنا ان مشاة البحرية قوة تشبه في تكوينها قوات المشاة ، ويمكن تفتيتها بأساليب تفتيت هذه القوات . اما بحارة المراكب انفسهم فهم ـ باستثناء الضباط الذين يماثلون بتكوينهم ضباط المدفعية ـ مادة بروليتارية حقيقية ، ينحدر معظمهم من عمال المدن او من مسحوقي الشرائح الدنيا في الحرفيين وصيادي الاسماك القاطنين في المدن الساحلية . ولقد لعبوا في الثورة الروسية دورا حاسما على المراكب وعلى الارض .

٤ ـ الشرطة والدرك

هما مؤسستان للأمن الداخلي ، ويختلف تسليحهما من بلد الى اخر ويقتصر هذا التسليح في بعض البلاد على المسدسات والبنادق ، ويرتفع في البلاد الاخرى حتى يصل الى الآليات المسلحة بالرشاشات الثقيلة (الاردن) والسيارات المصفحة (اسرائيل) . وهما تعملان في المرحلة الاولى للانتفاضة المسلحة ، ويتراوح عملهما بين الدفاع عن المخافر ، وحراسة المؤسسات ، والقيام بالدوريات الآلية ودوريات الخيالة ، وعمليات مداهمة البيوت ، وتشتيت التجمعات الجماهيرية ، ومهاجمة المقاومات الخفيفة . ولكن تأثير اعمالهما محدود جدا في قمع الانتفاضات المسلحة .

ان ضعف تسليح رجال الشرطة والدرك ، وانعدام تدريبهم العسكري الجدي على القتال بوحدات مجمعة ، واتصالهم المباشر

---

(١) نيوبيرغ «الانتفاضة المسلحة» دار الطليعة ، بيروت .

المستمر بالاهالي وتأثرهم من هذا الاتصال عن طريق العدوى الثورية ، عبارة عن عوامل تخفف قدرتهم القتالية الى حد بعيد.

ويدل تاريخ الثورتين الصينية والروسية على ضعف الدور الذي لعبته الشرطة ، التي تكون عادة «مستودع اسلحة» (١) تداهمه قوات الثورة بسهولة وتستفيد منه . كما ان دراسة تاريخ الثورة السورية (١٩٢٥) ، وتحليل احداث عمان في يونيو ــ حزيران (١٩٧٠) ــ وخاصة اعمال الدورية الآلية بقيادة الرفيقة ناديا ضد مخافر الشرطة ــ ، وتمحيص انتفاضة الاردن في سبتمبر ــ ايلول (١٩٧٠) ، تؤكد ضعف الشرطة امام هجمات الثوار المصممة . على حين دلت انتفاضتا المانيا في عامي ١٩١٩ و١٩٢٣ على ان الشرطة الالمانية المسلحة بالبنادق والرشاشات والسيارات المصفحة ، والمدربة تدريبا عسكريا جيدا ، والمنظمة بشكل شبه عسكري (فصائل ــ سرايا) ، والخاضعة لقيادة عسكرية موالية للسلطة كانت قوة فعالة في مجابهة الثوار .

وبالرغم من تطوير الشرطة في معظم بلاد العالم ورفع مستوى تسليحها وقيادتها ، وتدريبها على اساليب القتال في المدن وقمع الاضطرابات فانها تبقى قوة محدودة غير كافية لمجابهة الثورة المنتشرة على نطاق واسع ، ولا تستطيع العمل في الازمات الكبيرة الا كقوة رديفة تساعد الجيش وتقدم له خبرتها بالارض ، وأزقة المدن ، والسكان .

وتتكون الشرطة والدرك من قيادات كبيرة رجعية، وقيادات صغيرة بورجوازية ليبرالية ورجال وصف ضباط من مسحوقي المدن والريف (نسبة المدنيين في الشرطة اكبر من نسبة الريفيين، والنسبة معكوسة في قوات الدرك) .

---

(١) نيوبيرغ ، المرجع السابق .

ومن المؤكد ان اصل رجال الشرطة والدرك الطبقي وعملهم بصورة مبعثرة وبمفارز صغيرة لا تخضع لمراقبة القيادات الكبيرة الرجعية مباشرة ، واحتكاكهم الدائم بالسكان يربطهم بقضية الجماهير ، ويسهل عملية انتقال الروح الثورية الى صفوفهم ، ويساعد على تفتيتهم خلال الصدام .

٥ ـ الاجهزة السرية

وهي اخطر اجهزة القمع وأشدها ضررا .. وتتمثل بمكاتب خاصة على غرار «الديجبول» اي الشرطة السياسية في فنزويلا ، او بمصالح خاصة على غرار مصلحة «اس.دي» الالمانية . وتكون مهمتها جمع المعلومات عن الحركات الثورية ، والقيام باغتيال الزعماء الثوريين قبيل كل هجوم معاكس تشنه قوات الثورة المضادة .

ولقد لعبت «الشعبة الخاصة» الاردنية مثلا دورا هاما في انتفاضة الاردن ، سبتمبر ـ ايلول ١٩٧٠ ، وكانت وراء كثير من الاستفزازات المرسومة كجزء من خطط ضرب المقاومة . وهي لا تزال تلعب حتى الان دورا خطيرا داخل مخطط تصفية المقاومة .

ويتم اختيار هذه الاجهزة السرية من بين المجموعات الموالية بكل عناية ، ثم تخضع بعد الاختيار لمراقبة دؤوبة وتعبئة نفسية وسياسية معادية للثورة ، وتتم رشوتها المادية والمعنوية على اوسع نطاق ، حتى تصبح ـ رغم اصلها الطبقي ـ جزء من النظام المعادي للجماهير يصعب دخول الدعاية الثورية الى صفوفه .

٦ ـ المليشيا العميلة

تلجأ معظم الطبقات المضطهدة الى مناورة بارعة لتجريد

قوى الثورة من بعض جماهيرها عن طريق استغلال التناقضات القومية ، او المذهبية ، او الدينية ، او العشائرية ، او التكتلات الشخصية البحتة لخلق مليشيا من المضطهدين تضم بعض العناصر من المضطهدين انفسهم . ويتم تسليح هذه المليشيا وتدريبها وتأطيرها من قبل الدولة . وهي تستهدف من ذلك – بالاضافة الى تجريد الثورة من بعض جماهيرها – ايجاد قوة للدفاع الذاتي تسهل مهمة القوات المسلحة ، وتوفر عليها عملية الانتشار لحماية الاهداف المتباعدة ، تلك العملية التي تنهك القوات المسلحة وتفقدها زخم قوتها الضاربة .

ويذكر نيوبيرغ ان هذه التنظيمات كانت منتشرة بشكل واسع في اوروبا خلال عشرينات هذا القرن . وانها بلغت في نهاية العشرينات ١٤٠ – ١٥٠ الف رجل وامرأة في فيلندا ، و٣٧ الف شخص في استونيا ، و٣٠ الف شخص في ليتونيا ، واكثر من نصف مليون شخص في بولونيا ، ثم يقدر عدد مختلف التنظيمات الالمانية شبه العسكرية مثل «الخوذ الفولاذية» و«جامعة العلم الوطني» و«منظمة الشبيبة» بحوالي ٤ ملايين رجل . ولقد استغل الالمان خلال الحرب العالمية الثانية التناقضات القومية في بعض مناطق الاتحاد السوفياتي – وخاصة في الجنوب – لخلق «مليشيا عميلة» كما خلق الانكليز مليشيا خاصة في ماليزيا وكينيا ، وعينوا لها قادة من الاوروبيين ، وسلحوها بشكل جعلها قادرة على الدفاع عن القرى بالتعاون مع قوة نظامية قادرة على التحرك لنجدتها ، وقام خبراء الثورة المضادة في الاردن باستغلال الروابط العشائرية وبقايا جيوب الذهنية القطرية المتخلفة لخلق مليشيا تطعن المقاومة من الظهر .

بيد ان تكوين هذه المليشيا ، واحتواءها على اعداد كبيرة من الجماهير المسحوقة ، يجعل الدعاية الثورية قادرة على

تخليص اعضائها من تأثير المضطهدين ووصايتهم ، ويردف الثورة بكثير من المقاتلين مع اسلحتهم .

٧ ـ العصابات المزيفة

وهي عبارة عن عصابات عميلة يختار العدو عناصرها من المجرمين او الاسرى المتخاذلين ، ويدربها ويسلحها بتسليح العصابات ، ويدفعها الى منطقة النشاط الثوري ، حيث تعيش وتعمل كالعصابات الحقيقية بغية تخريب العمل ، وكشف اماكن العصابات ، ونصب الكمائن للمفارز المنعزلة ، واغتيال الزعماء .

هذه هي القوات المضادة التي تجابه انتفاضة الجماهير الثورية ، وهذا هو تكوينها وتلك هي اهدافها . ولا يمكن لقوى الثورة ان تأمل بالنصر الا اذا فتتت هذه القوات ودحرتها ، منطلقة من مبدأ أساسي هو «التمييز بين هذه القوات ، والتمييز داخل كل واحدة منها ، واختيار اسلوب التفتيت المتلائم مع التكوين الاجتماعي للشرائح الناجمة عن التمييز» . فاذا كانت الدعاية السياسية الطبقية والضغط العسكري يتلاءمان مع تفتيت واكتساب جماهير الجنود في القوات المنحدرة من اصول مضطهدة بروليتارية او فلاحية او حرفية صغيرة ، فان الدعاية السياسية الوطنية الديمقراطية ، والضغط العسكري يؤثران على معظم صغار ضباط البورجوازية الصغيرة ، كما ان الدعاية السياسية بكل انواعها والضغط العسكري يقترنان مع الضغوط الاجتماعية وعلاقات السكان عندما يتعلق الامر بالشرطة والدرك والمليشيا العميلة وكافة القوات التي تخرج من عزلتها الاجبارية المفروضة عليها في الثكنات ، وتحتك بالاهالي فترة طويلة من الزمن ، على حين لا يمكن التوصل الى تفتيت كبار الضباط المرتبطين مصلحيا بالنظام الاجتماعي المستغل، والقطعات الخاصة المعبأة بحقد جنوني اسود ، والمليشيا التي تضم ابناء المضطهدين

انفسهم ، والاجهزة السرية، والعصابات المزيفة الا بتدميرها ماديا عن طريق النضال المسلح . وينطبق هذا القول كله على القوات المسلحة لبلد الثوريين انفسهم ، اما بالنسبة لقوات الغـــزاة المستعمرين او قوات المرتزقة (الفرقة الاجنبية الفرنسية ، قوات المرتزقة البيض في الكونغو .. الخ) فان الامر يغدو اشد صعوبة، وتزداد اهمية الضغط العسكري خلال عملية تفتيتها السياسـي الذي لا يمكن ان يكون في هذه الحالة الا طبقيا .

٣ ــ توافق النضال السياسي مع النضال المسلح لاكتساب الجيش

ان ابسط مبادىء النضال الثوري هو العمل في مواقـــع تجمع الجماهير ، ويشكل الجيش والاسطول وقوات الشرطـــة مجموعات تضم عددا كبيرا من الشبيبة المنحدرة من اصـــول مستغلة مضطهدة ، والمستعدة لتقبل الافكار الثورية ، وهذا ما يجعل العمل السياسي داخل القوات المسلحة امـرا ضروريا لا يستغنى عنه في فترة اعداد الثورة وفي فترة اندلاعها ، وعملا لا تقل اهميته عن العمل في المجالات الاخرى كاكتساب بعـــض شرائح البورجوازية ، الخ .

ومما لا شك فيه ان المناخ الثوري ينتقل بالعدوى الـــى القوات المسلحة ، ولكن سرعة انتقاله تختلف حسب اختـــلاف تكوين القوات . ويظن البعض خطأ ان من الممكن اكتســـاب الجيش او الشرطة او جزء منهما من تلقاء نفسهما ، كما يقع في خطأ اكبر اولئك الذين يعتقدون ان العمل السياسي خـــارج الجيش ، وطرح الافكار في الشارع يكفيان لاجتذاب القـــوات المسلحة الى معسكر الثورة . والحقيقة ان الاجتذاب لا يمكن ان يتم الا بعد عمل سياسي وتنظيمي طويل داخل القوات قبـــل

اندلاع الثورة وخلال مسيرتها الطويلة ، يرافقه صراع مادي ضد العدو ، مع نضال طويل لاكتساب الجيش .

ويؤكد لينين هذه الحقيقة عندما يتحدث عن دروس ثورة ١٩٠٥ ـ انتفاضة موسكو ـ فيقول : «من المؤكد انه اذا لم تشمل الثورة الجماهير والجيش نفسه فلا يمكن اطلاقا ان يكون ثمة اي نضال جدي ، وطبيعي ان العمل في الجيش ضروري ، ولكنه يجب الا نتصور انتقال الجيش هذا عمل بسيطا ومنعزلا، ناجما عن الاقناع من جهة وعن يقظة الوعي من جهة اخرى . فان انتفاضة موسكو تبين لنا بجلاء ما يتسم به هذا الرأي من رتابة وعقم . والواقع ان حيرة الجيش المحتمة في كل حركة شعبية حقا ، تقود ، اذا ما اشتد النضال الثوري الى صراع حقيقي في سبيل الظفر بالجيش . وتبين لنا انتفاضة موسكو على وجه الدقة ذلك الصراع الذي خاضته الرجعية والثورة بغية الظفر بالجيش والذي بلغ اقسى القساوة والضراوة» .. «وينبغي لنا ان نتحلى بالشجاعة ونعترف بكل صراحة اننا تركنا الحكومة تسبقنا في هذا الميدان ، فلاجل الظفر بالجيش المتردد لم نعرف كيف نستغل القوى التي كانت تحت تصرفنا في نضال نشيط ، جريء ، مقدام ، هجومي ، كالنضال الذي شنته وخاضته الحكومة وسارت به الى النهاية . فقد انصرفنا وسننصرف ايضا بمزيد من العناد الى «تحضير» الجيش فكريا ، ولكننا لن نكون سوى ادعياء حقيرين ، اذا نسينا انه ينبغي ايضا في زمن الانتفاضة ، استخدام القوة في النضال من اجل الجيش»(١) .

ولا يمكن في اي حال من الاحوال ان ننتظر التفتت الذي سيتم داخل الجيش مع الزمن ، ولا بد من الحصول على التفتت

---

(١) لينين «مختارات» المجلد ١ الجزء ٢ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩

بالعمل الخلاّق السياسي – العسكري. لان العدو يتحرك بسرعة ويعمل المستحيل لاستعادة زمام الموقف ، ويستخدم كافة الاساليب الممكنة لمنع الجنود من الالتحاق بالثورة . لقد استطاع مالاخوف في ٩ يناير (كانون الاول) ١٩٠٥ ان يوقف الجنود السائرين وهم ينشدون المارسيلييز فيشوارع موسكو، ويطوقهم بالخيالة ويعيدهم الى الثكنة . وتكرر هذا الامر في اكثر من مكان في موسكو امام الثكنات وفي محطات القطارات . كما تكرر عند ارسال المندوبين الى سلاح الهندسة في الكسندروف، وعند اعادة شحن مدفعية روستوف الموجهة الى موسكو ، وعند تجريد رجال سلاح الهندسة في كولومنا من اسلحتهم . ويفسر لينين ذلك بشجاعة لا يملكها الا امثاله من الزعماء النادرين فيقول : «ففي فترة الانتفاضة لم نكن في مستوى مهمتنا في النضال من اجل كسب الجيش المتردد الى جانبنا» (١) .

ويعطينا تاريخ الثورة الروسية وتاريخ كومونة باريس امثلة حية على ضرورة النضال الدؤوب العنيف لاكتساب الجيش . ويؤكد لينين ذلك في تقريره عن ثورة ١٩٠٥ عندما يقول : «لا يمكن ابدا واطلاقا قهر العسكرية والقضاء عليها الا بالنضال المظفر ، يخوضه قسم من الجيش الوطني ضد القسم الاخر . فلا يكفي التنديد بالعسكرية ، ولعنها ، ونبذها ، وانتقادها ، وتبيان ضررها ، ومن البلاهة الامتناع بطريقة سلمية عن اداء الخدمة العسكرية ، ان ما ينبغي فعله هو ابقاء الوعي الثوري عند البروليتاريا في حالة تنبه ويقظة ، وتحضير خيرة عناصر البروليتاريا – لا تحضيرا عاما وحسب بل تحضيرا

---

(١) لينين «مختارات» المجلد ١ ، الجزء ٢ ، ص ١٧٠ ، دار التقدم ، موسكو .

ملموسا ايضا للسير على رأس الجيش الثوري حين يبلغ الفليان في صفوف الجماهير اعمق اعماقها» (١) . ولا بد في هذا المجال من اتباع تعليمات انجلس القائلة «بأن الانتفاضة فن . وان قاعدة هذا الفن الرئيسية هي الهجوم ـ الهجوم في منتهى الشجاعة وبعزم لا يتزعزع» .

والسلبية هنا عدو يسرق اللحظات الثمينة ، ويعطيها لقادة القوات المضادة ، ويجعل الثورة تعيش وسط ضباب تحليلاتها الميكانيكية الطبقية او الوطنية ، وتتغذى بوهم انضمام الجنود ورجال الشرطة اليها كنتيجة حتمية لتحليل واقعهم الطبقي نظريا . وتجلس القرفصاء تنتظر سقوط القوات المسلحة كثمرة من ثمار جهدها السياسي قبل الازمة ، فتسقط الفرصة في وهدة السلبية وقد يؤدي ذلك الى سقوط الثورة معها . «فليست السلبية هي التي يجب ان ندعو لها ، ولا مجرد «انتظار» الوقت الذي سينتقل فيه الجيش الى جانبنا ، كلا ، انما يجب علينا ان نقرع جميع الاجراس ونعلن ضرورة القيام بهجوم جريء وغارة مسلحة ، بغية ابادة الزعماء ، والنضال بأشد العزيمة من اجل كسب الجيش المتردد» (٢) .

ولم ينس لينين أهمية النضال في سبيل اكتساب الجيش عندما كان يعد بعد فشل ثورة ١٩٠٥ لثورة شاملة اوسع ، وهو يتحدث في دروس انتفاضة موسكو (١٩٠٥) عن التكتيك فيحدد ٤ شروط اساسية لتحقيق النصر في الانتفاضة المسلحة المقبلة

---

(١) لينين «مختارات» المجلد ١ ، الجزء ٢ ، ص ٤٦٥ ، دار التقدم ، موسكو .

(٢) لينين «مختارات» المجلد ١ ، الجزء ٢ ، ص ١٧١ ، دار التقدم ، موسكو .

في عموم روسيا ، ومنها : النضال بمهارة وحزم في سبيل اكتساب الجيش الذي ازداد تردده بعد تجربة الدوما، وانتفاضتي حصني سفيابورغ وكرونشتادت في يوليو (تموز) ١٩٠٦ .

ولا يأتي تفتت الجيش وانتفاضاته بشكل منعزل عن نضال الجماهير . فمع تصاعد النضال تتصاعد حركة التخمر ، ولقد ادى اضراب العمال في المدن وتمرد الفلاحين في الريف خلال ثورة ١٩٠٥ الى خلق مناخ ثوري سبب زعزعة الجيش اقوى سند للحكومة القيصرية . وتتم الامور احيانا بشكل جماعي منظم كانتفاضة الطراد بوتمكين في ثورة ١٩٠٥ ، وانتفاضة الطراد اورور في ثورة ١٩١٧ ، الخ . وقد تتم بشكل افرادي كحادثة الجندي بيتروف التي يمكننا ان ننقلها هنا كما ذكرها لينين في تقريره عن ثورة ١٩٠٥ كمثال عما يمكن ان تفعله البطولات الفردية في لحظة من لحظات الغليان الثوري ، الذي ينتقل عن طريق العدوى من الشعب الى الجيش . «ففي صباح الرابع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٥ وضعت السرية بحالة الاستنفار امام باب ثكنة البحرية . وأمر الكونتر اميرال بيساريفسكي علنا وأمام الملأ : «عدم السماح بخروج اي شخص من الثكنة ! اطلاق الرصاص في حالة العصيان ! » فخرج البحار بيتروف من صفوف السرية التي تلقت هذا الامر وحشا بندقيته امام عيون الجميع ، وقتل بطلقة الرئيس شتين ، من فوج بيلوستوك وجرح الكونتر اميرال بيساريفسكي . امر ضابط : «اعتقلوه !» فلم يتحرك احد . قذف بيتروف بندقيته ارضا وصاح : «ماذا تنتظرون اعتقلوني !» اعتقلوه ، وتراكض البحارة من كل جانب ، وطالبوا بالحاح وقوة باطلاق سراحه ، وأعلنوا انهم يكفلونه . وبلغ الهيجان الذروة .

سأل ضابط ، محاولا ايجاد مخرج من الوضع ؟

ــ بيتروف ، انطلقت طلقتك صدفة ؟ أليس كذلك ؟

ـ كيف صدفة! انا خرجت من الصف، وحشوت بندقيتي وصوبت . فهل هذه صدفة ؟

ـ انهم يطالبون بالافراج عنك ..

وأفرج عن بيتروف . ولكن البحارة لم يكتفوا بهذا . فاعتقلوا جميع ضباط النوبة ، ونزعوا منهم اسلحتهم، وساقوهم الى المكتب .. وطوال الليل تداول مندوبو البحارة وعددهم نحو اربعين . وقرروا اخلاء سبيل الضباط ، ولكنهم قرروا ايضا منعهم بعد ذلك من دخول الثكنة» (١) .

ولقد تعلمت الثورة الصينية كثيرا من دروس ثورتي ١٩٠٥ و١٩١٧ وأهم هذه الدروس «ربط النضالات الجماهيرية بالنضال داخل الجيش» .

وكان الحزب الشيوعي الصيني يعمل كل ما في وسعه لتحقيق هدفين هما :

ـ تعبئة الجماهير في مناطق الكومينتانغ .

ـ تعزيز المجهودات لتفكيك الجيش .

وتطبق قوات الثورة الفيتنامية مبدأ توافق النضالين السياسي والعسكري في جنوب البلاد ففي ١٩٦٧ وجهت جبهة التحرير الوطنية نداء لشن الحرب الشاملة ، اكدت فيه ضرورة تسديد الضربات الى القوات الاميركية وقوات الحكومة ، وتدمير قوات العدو الحية واقتلاعها من جذورها ، وتعزيز وحدة الكفاح لشل السلطة السياسية والعسكرية المعادية .. ومضاعفة الجهود ضد التجنيد العسكري الاجباري .

---

(١) لينين «مختارات« المجلد ١ ، الجزء ٢ ، ص ٤٦٣ ، دار التقدم ، موسكو .

ومن الضروري ان نفرق بشكل واضح بين النضال السياسي المستمر الناجم عن اعداد تنظيمي داخل القـــوات المسلحة ، والانتفاضة العفوية الناجمة عن عدوى الغليان الثوري، والشعور المتصاعد بالظلم ، والتي يمكن قمعها بشكل سريع وعنيف . ولعل غزارة الدماء التي سالت من جراء عمليات القمع التـــي شنتها السلطات القيصرية بعد فشل ثورة ١٩٠٥ هي التي دفعت لينين لان يكتب في عام ١٩١٧ تقريره عن ثورة ١٩٠٥ فيقـــول فيه : «ولكن الجماهير الغفيرة كانت لا تزال ساذجة جدا ، وديعة جدا، مسيحية جدا . وكانت تلتهب بسهولة نسبية . فان ظلامة ما ، وفظاظة صارخة جدا من جانب الضباط ، وغذاء رديئا ، الخ . كان في وسعها ان تثير تمردا . ولكن المثابرة كانت غير كافيـــة والادراك الواضح للمهمات معدوما : فلم يكن ثمة فهم كاف على ان نجاح الثورة لا يمكن ان يضمنه الا مواصلة النضال المسلح ، ومواصلته بأشد العزيمة ، والتغلب على جميع السلطات العسكرية والمدنية ، واسقاط الحكومة والاستيلاء على السلطة في مجمـل الدولة» (١) .

ثم يعود لينين بلا ملل ليؤكد على ضرورة اعداد الحزبيـين داخل الجيش عندما يحدد نقائص الحركة الشعبية في ثورة١٩٠٥ ويوجزها بنقيصتين هما : ضعف صلابة الجماهير واصابتهـــا بمرض سرعة التصديق . ٢- جهل العمال الحزبيين المنضمـين الى الجيش بمعرفة اساليب قيادة الحركة ، والسير على رأس الجيش الثوري ، وشن الهجوم على السلطة .

ويدعي البعض ان نضوج الظروف الملائمة للثورة واندلاعها لا يتم الا بعد الحرب . وينجم عن هذا الادعاء انتظار اندلاع نـــار

---

(١) لينين «مختارات» المجلد ١ ، الجـــزء ٢ ، ص ٤٦٤ ، دار التقدم ، موسكو .

الحرب للبدء بالتحريض الثوري . ولكن الحقيقة مخالفة لذلك. ان قدوم الوضع الثوري بعد الحرب امر مؤكد ، ولكن من الممكن قدومه في مرحلة الاستقرار . ولا شك في ان حالة الجيش خلال السلم تختلف كل الاختلاف عن حالته خلال الحرب فهو «يكتسب في زمن الحرب اهمية خاصة في عموم حياة الدولة»، ويرتفع التوتر النفسي في داخله ، ويصبح مزاج الجنود عصبيا، وتقل قدرة القيادات على ضبط النظام ، ووسط هذا الجو المحموم ، وفي قلب مزاج الجنود العصبي ينبغي الاعداد للانتفاضة ، اي تفتيت العدو بعملين يسيران جنبا الى جنب هما: التحريض داخل الجيش ، وبناء القوة الثورية الضاربة القادرة على الصدام مع اقسام الجيش التي لم تتفتت ، علما بان صعوبات التنظيم والتحريض السياسي داخل الجيش ، تتناقص خلال الحرب خاصة اذا كانت القوى الثورية قد بدأتها من قبل بشكل منظم .

وهناك ملاحظة اخيرة لا بد ان نذكرها في هذا الصدد ، وهي ان محاولة التنظيم السياسي وتفتيت الجيش واكتساب عناصره تشكل جزء من الاعداد الثوري العام ، اي انها لا تشكل طريقا الى الانقلابية . وكما ان علينا ان نأخذ حذرنا من الفكر الانقلابي ، فان من واجبنا الانتباه للمندسين الذين يتظاهرون بالانضمام الى الثورة ويستفيدون من وجودهم العسكري واشتراكهم الفعلي في قلب السلطة القائمة لتحقيق مكاسب خاصة او طبقية . وقد يكونون جزء من مخطط الامبريالية التي تستخدم اكثر من حصان ، وتراهن على اكثر من قوة مضادة ، فان رأت ان عميلها المستلم لزمام السلطة قد انكشف واستهلك واضطر الى استخدام العنف الاقصى لتثبيت سلطته دفعت عميلا اخر ـوجه جديدـ الى صفوف الثوار ليشاركهم في قلبه ،

ويمتص نقمة الجماهير، ويلعب دور البطل المنقذ، ويرفع شعارات الثورة وراياتها مع العمل الدائب على تخريبها واستغلالها .

٤ ــ ميكانيكية التفتيت وأساليبه

يقاتل الجندي وهو واثق من انه يقوم بواجب مقدس ، ويضحي بحياته في سبيل مثل عليا ودفاعا عن قضية عادلة ، وهو ينطلق الى المعركة واضعا نصب عينيه النصر او الموت على مذبح الواجب قربانا للقضية . وهو يستمد معنوياته وشجاعته من هذه الثقة ، فاذا ما تزعزعت الثقة وهنت قواه ، وتسرب الخوف الى قلبه ، وقلت قدرته على التضحية والصمود . وهذا يعني ان جوهر التفتيت كامن في زعزعة ثقة الجندي بما يؤمن به . واقناعه بانه يقاتل في حرب غير عادلة ، اذا خسرها خسر روحه او شرفه ، وان ربحها لا يربح شيئا ، انما يقدم المكاسب لمن يستغلونه ويضطهدونه ، وانه يقدم كل التضحيات دونما هدف ملموس ، بالنسبة له سوى ما حشوه في رأسه من قيم لفظية ، وان حربه خاسرة لا محالة ، لان قواته الكبيرة (الفيل) عاجزة في النهاية عن قتل (البعوض) رغم ضخامة الالة الحربية وهديرها المرعب . وما ان يصل الجندي الى هذه القناعات ويعلم ان معركته تجري ضد اشباح لا يعرف متى تظهر ، ولا يدري متى تختفي ، حتى يتوصل الى احساس غامض بأنه يتورط مع الزمن باستمرار ، وان حركته الى امام تعني انزلاقه على مستوى مائل .. دون ان يدري سبب ذلك . في هذه اللحظة يحس بأنه خاسر فتبدأ الخسارة . وتؤدي خسارة المعركة الداخلية الى الضياع ، وضياع كل جندي يعني تفتت القطعة .

ولكن ابتداء هذا الحوار الذي ينتهي بالتفتيت لا يتم الا بفضل التحريض الدائب ، وهو عمل بالغ الصعوبة يتعرض القائمون به لاخطار متعددة . ولا شك في ان تكوين الجيش ،

والانضباط العسكري ، وحياة الجنود في ثكناتهم بمعزل عن السكان امور تزيد من صعوبة العمل وتعقيداته . ويستخدم المضطهدون الارهاب والعنف ضد الحركات والاحزاب التي تبث الدعاية الثورية داخل الجيش ، الامر الذي يقتضي التقيد بأقصى اساليب السرية خوفا من خنق التنظيم الثوري داخل الجيش في مهده .

ويتم عمل الحركات والاحزاب الثورية لتفتيت قوات القمع حسب مخططين اساسيين هما :

١ ـ العمل داخل قوات القمع (التنظيم العسكري الثوري).

٢ ـ العمل خارج قوات القمع (التحريض من الخارج بمختلف الاساليب) .

ويجري العمل الداخلي والخارجي بتناسق تام وتحت قيادة مركزية واحدة . وبشكل يتلاءم مع العمل السياسي اليومي وشعارات الحركة الثورية .

وتختلف اساليب التحريض والتفتيت من بلد الى اخر ، وعلى القوى الثورية ان تدرس ظروف البلاد ، وطبيعة القوات المضادة ، وتختار بعد ذلك الاساليب التي تلائمها ، وتلجأ الى السرية او العلنية حسب موقفها الملموس. وتقدم تجربة البلاشفة لنا مثالا يحتذى . فقد عملوا داخل الجيش القيصري بسرية منذ عام ١٩٠٢ ، وأثر هذا العمل في عام ١٩٠٥ بشكل جدي، ووافق البلاشفة عملهم السري والعلني. وبعد هزيمة الثورة وبدء الارهاب عادوا الى العمل السري بشكل اكثر تحفظا حتى اندلعت ثورة ١٩١٧ ، ولما انقلبت القيصرية عادوا الى العمل العلني لاكتساب الجيش الى صفوف الثورة ، وعدم تركه لقمة سائغة بين يدي الثورة المضادة .

ويمكننا ان نذكر فيما يلي بعض الاساليب التي يمكن ان يستفيد منها العمل التحريضي بين صفوف القوات المسلحة علما بأنها نقاط عامة لا تنطبق على جميع البلاد وكافة الجيوش ، ولا بد للقائمين بالتحريض من اختيار ما يلزمهم منها .

١ ـ استغلال التناقض الطبقي بين غالبية الجنود من جهة ومجموعة الضباط والطبقة المضطهدة من جهة اخرى . ولقد تعرضنا الى اسسه وجذوره بكل تفصيل عندما تحدثنا عن طبيعة تكوين كل جزء من اجزاء القوات المسلحة لذا فاننا لا نجد مبررا لاعادته .

٢ ـ استغلال التناقضات القومية (اذا كانت الجيوش تضم عدة قوميات وكان معظم الضباط ينحدرون من قومية متسلطة على حين ينحدر الجنود من القوميات المضطهدة) او اذا كانت القيادة تضع القطعات المشكلة من القوميات المضطهدة في اماكن معرضة للخطر . وتحافظ على قطعات القومية المتسلطة في مأمن ، وتقدم لها سلاحا وغذاء ولباسا افضل .

٣ ـ استغلال التناقضات العنصرية داخل معسكر العدو . فمثلا يمكن استغلال التمييز العنصري ضد الزنوج لتفتيت الوحدات الاميركية وخاصة اذا امكن للمحرضين تقديم الارقام التي تدل على استغلال البيض للسود على غرار الاحصائية التالية: يمثل الزنوج ١٠٪ من الشعب الاميركي ، ولكنهم يمثلون في الجيش بنسبة ٢٨ ـ ٣٢٪ وفي قطعات المظليين ٣٥ بالمئة ونظرا لوجودهم في اسلحة خطرة فان خسائرهم النسبية تصل الى ضعف خسائر البيض . الى غير ذلك من الاحصائيات ذات الدلالة الملموسة .

٤ ـ استغلال التناقضات المذهبية بكل انواعها .

٥ ـ استغلال عمليات العدو الوحشية ضد المواطنين لاستثارة الجنود .

٦ ـ الافادة من الدافع الوطني الذي يكون لدى بعض الجنود وصفار الضباط انمى واكثر عمقا من الوعي الطبقي . وتزداد اهمية هذا الدافع كلما ازدادت الطبيعة التوتاليتارية للدولة ، وازداد تغلغل البورجوازية الصغيرة داخل الجيش و«بين المحاربين الذين انضموا الى صفوفنا كثيرون لم ينحازوا الينا لانهم يشاركوننا كل المشاركة في آرائنا الفلسفية والسياسية بل كيما يحاربوا الجور والتعذيب ويقضوا على الفظائع التي ترتكبها الحكومة» (١) .

وتصل اهمية الدافع الوطني الى الذروة عندما يكون التحريض موجها الى جيش عميل يعمل لحماية المصالح الاجنبية على ارض الوطن ، او يعاون جيش الغزاة بصورة مباشرة . ومن الطبيعي ان يتوجه التحريض هنا الى «الفضاضة القومية» التي يحس بها افراد هذا الجيش . ويتحدث جياب عن التناقضات داخل جيش الجنوب العميل ويعتبرها سببا من اسباب تعثر الاميركيين في فيتنام ، ويعيدها الى «ان هؤلاء الذين ما زال لديهم بعض روح وطنية في الجيش والحكومة العميلين تنوروا تدريجيا . وقد عاد المزيد والمزيد منهم الى الشعب» (٢) . وينجح التحريض الوطني على المدى الطويل بشكل مؤكد لان معنويات القوات العميلة لا يمكن ان تبقى قوية ما دامت الامة مقسومة الى قسمين ، قسم يمثل الاغلبية الساحقة وتقف معه الثورة ، وقسم يمثل الاقلية المستفيدة من الصراع ، ويقف معها الجيش العميل والجيش الاجنبي . ويؤدي هذا الانقسام الى

---

(١) دوغلاس برافو ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ .
(٢) جياب «نصر كبير ومهمة عظيمة» ص ٣٧ ، دار الطليعة ، بيروت .

جعل جنود الجيش العميل يهربون الى صفوف الثورة او يعملون بلا حماس وسط جو الشك القاتل . اذ كيف يمكن للجندي ان يقتل اخاه دون ان يعرف سبب عمله ؟

٧ ـ معاملة الاسرى بشكل جيد : ان معاملة الاسرى بشكل جيد امر حيوي وأساسي للتفتيت . وهو من ناحية المبدأ عمل طبقي غايته انتزاع سلاح جزء من الطبقة المخدوعة واكتسابها باعادة توعيتها . وقد تكون هذه المهمة في بعض الحالات صعبة، ولكن صعوبتها تتناقص في مرحلة المد الثوري التي ينضم فيها عدد من الاسرى الى قوى الثورة . وعلى المحرضين السياسيين الثوريين ان يجدوا السبيل لايصال اخبار معاملة اسرى العدو الحسنة الى قوات القمع لان ذلك يساعد على دحض الدعاية المضادة المعادية ، ويكذب القصص التي يختلقها العدو حول عمليات التعذيب الوحشية ضد الاسرى بغية رفع مستوى الحقد عند جنوده ، وزيادة صلابتهم ، ودفعهم الى الاستمرار في القتال خوفا من التعذيب عند الوقوع في الاسر .

ولقد كانت الثورة الكوبية تخضع الاسرى لتوعية سياسية عاجلة ، ثم تخيرهم بين العمل معها او العودة الى بيوتهم . وكان جزء كبير منهم ينضم الى صفوف الثورة . ولجأت الثورة الفيتنامية الى معاملة اسرى الحرب بشكل جيد دفع الكثيرين منهم لكي ينخرطوا في صفوفها ، ويحولوا بنادقهم ضد عدوها . وتقدم الثورة الصينية تجربة غنية في هذا المجال سواء في صراعها ضد قوات الغزو اليابانية او قوات تشانغ كاي تشيك. وفي عام ١٩٢٨ تحدث ماوتسي تونغ بهذا الصدد فقال : « ان اشد وسائل الدعاية فاعلية لدى القوات المعادية هي اطلاق سراح الاسرى ومعالجة الجرحى . منذ ان نأسر جنودا او قواد فوج او وحدة عسكرية او شعبة معادية نبدأ عملا دعائيا بينهم. فنقسمهم الى فريقين نضع الذين يريدون البقاء في فريق ، ونضع الذين

يريدون الذهاب في الفريق الاخر . ونحن ندع هؤلاء يذهبون مزودينهم بنفقة الطريق» (١) . ثم عاد في عام ١٩٣٨ وتحدث عن الدعاية بين صفوف الجنود اليابانيين وضرورة كسبهم سياسيا «ينبغي ان لا نجرحوا (الجنود) في عزتهم ، بل ان نسعى الى فهم هذه العزة وتوجيهها في الطريق الصحيحة . وبمعاملتنا الاسرى معاملة كريمة ، يمكننا ان نجر الجنود اليابانيين الى ان يدركوا بوضوح طابع السياسة العدوانية المعادية للشعب التي يمارسها قادة اليابان» (٢) . ثم عاد الى الموضوع نفسه في عام ١٩٤٥ وأكد على ضرورة الافادة من الاسرى بعد تثقيفهم . ومنع اعدام او اساءة معاملة او اذلال اي اسير .

والحقيقة ان حسن معاملة الاسرى ، وايصال المعلومات المؤكدة بهذا الصدد الى قوات العدو لا تؤدي الى التفتيت والفرار وانعدام الصمود فحسب ، بل الى تزايد عدد المنضمين الى القوات الثورية مع اسلحتهم ومعداتهم الكاملة .

٨ ـ التمييز : و«التمييز» تكتيك مرن وأسلوب ممتاز يخدم الهدف العام «التفتيت» . ولا بد عند توجيه التحريض من التمييز بين الجنود والضباط ، والمثقفين وغير المثقفين ، والمسحوقين والمستغلين ، والدخول الى القوى حسب تكوينها الطبقي والاجتماعي .

ويمكن تقديم مثال رائع على التمييز في التعليمات التي وجهتها «منظمة الكفاح التابعة للجنة موسكو لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي الروسي» في عام ١٩٠٥ خلال انتفاضة موسكو . وتقول هذه التعليمات :

---

(١) ماوتسي تونغ «كتابات عسكرية» ص ٣٧ .
(٢) ماوتسي تونغ ، المرجع السابق ، ص ٣٢٨ .

« ٦ ــ احسنوا التمييز بين اعدائكم الواعين واعدائكم غير الواعين . فاقضوا على الواعين منهم اما الاخرون فعاملوهم بتسامح . وبقدر المستطاع لا تطلقوا النار على جنود المشاة ، فان الجنود هم ابناء الشعب ، واذا ساروا ضد الشعب فانهم لا يفعلون ذلك بارادتهم بل لاطاعة اوامر قوّادهم من الضباط والقيادة العامة . لذلك يجب ان توجهوا كل اهتمامكم الى الضباط ، والى القادة . ان كل ضابط يقود رجاله ضد العمال هو عدو الشعب ، وخارج عن القانون فاقتلوه دون تردد .

٧ ــ لا تعاملوا القوزاق بالتسامح ..

٨ ــ اما بشأن الخيالة والدوريات فهاجموهم واقضوا عليهم .

٩ ــ في القتال ضد الشرطة اتبعوا الآتي : اقتلوا جميع الرجال ذوي المناصب العالية وحتى مأمور القسم . اما رجال الشرطة فجرّدوهم من السلاح . واقبضوا عليهم ، ولا تقتلوا الا المشهورين منهم بقسوتهم وشراستهم . اما الاخرون فاضطروهم الى خدمتنا بدلا من خدمة الشرطة» .

ولقد ميزت الثورة الفيتنامية بين الاستعماريين الفرنسيين والكادحين الفرنسيين او من شعوب المستعمرات كما ميزت بين الضباط الاستعماريين الكبار والجنود وصف الضباط ، وبين الحرب الدفاعية العادلة والحرب الاستعماريةغير العادلة. وطالب الحزب قواته المسلحة بالاهتمام بالدعاية بين جنود العدو ، وتنويرهم كيما يدركوا انهم لا يقاتلون من اجل مصالحهم وانهم يموتون لكي يجلبوا الثروة للاستعماريين . ولجأ ماوتسي تونغ الى التكتيك نفسه عندما اعلن في «بيان جيش التحرير الشعبي الصيني ــ ١٩٤٧» عن تقسيم جهاز تشانغ كاي تشيك الى : ١ ــ مجرمين كبار ، ٢ ــ شركاء بطريق الاكراه ، ٣ ــ تشانغ

كاي تشيك وانصاره الشرسين ، ٤ ـ من تلطخت ايديهم بدماء الشعب ، ٥ ـ الضباط والجنود الذين يودون القاء السلاح ، ٦ ـ من يودون الانضمام الى الثورة .. الخ . وحدد مصير كل زمرة من الزمر بشكل يضعف اواصر الوحدة داخل جيش العدو.

ويذكر ريجيس دوبريه القصة التالية : «ذات يوم في فالكون نصب رجال المقاومة كمينا لفصيل من الجنود كان قد توغل في الغابة ، فوجد الجنود أنفسهم داخل حصار كامل . ولكن رجال المقاومة لم يطلقوا عليهم رصاصة واحدة ، بل اكتفى قائدهم بأن هتف بالجنود من خلال العوسج : **«ماذا جئتم تفعلون هنا يا اخواننا القرويين . انكم تعرضون حياتكم للموت ، فهل تدرون لماذا ؟ لا لشيء الا خدمة لعصابة الضباط العظام الذين يتبرطعون الان في نادي القوات المسلحة في كاراكاس ، ويبذرون اموال الشعب»** ثم انسحب رجال المقاومة . وفي اليوم التالي ذهب جنود هذا الفصيل الى ضابط يقود كتيبة اخرى وسألوه: «كيف يمكن ان يكون هؤلاء الناس اشرارا ، وقطاع طريق ، وهم لم يمسونا بأذى ؟» (١) .

٩ ـ الافادة من الدعم العاطفي الجماهيري : اذ تقف الجماهير عادة مع قوى الثورة بشكل عفوي ، ويتزايد دعمها لهذه القوى مع تصاعد عنف الاوليغاركية ووحشيتها في القمع. ويؤدي هذا الموقف في بعض الاحيان الى تخفيف حدة هجمة قوات القمع او ايقافها . ويتحدث لينين عن هذه المسألة في دروس انتفاضة موسكو ١٩٠٥ فيقول: «لقد قدمت لنا بروليتاريا موسكو في ايام ديسمبر (كانون الاول) دروسا رائعة في تحضير

---

(١) ريجيس دوبريه «دفاعا عن الثورية» ص ١٦٢ ، دار الآداب ، بيروت .

الجيش فكريا : مثلا في ٨ ديسمبر في ساحة ستراستنايا ، حين طوق الجمهور القوزاق ، واختلط بهم ، وتآخى معهم ، وحملهم على الانسحاب . او ايضا في ١٠ ديسمبر في بريستينا حين اندفعت فتاتان عاملتان نحو القوزاق وهما تحملان العلم الاحمر وسط جمهور من ١٠٠٠٠ شخص ، وصاحتا : اقتلونا ، لن نسلمكم علمنا ونحن حيتان ! فاذا بالقوزاق يضطربون ، ويلوون راجعين ، بينما راح الجمهور يهتف : عاش القوزاق . هذه الامثلة على البطولة والبسالة انما يجب ان تظل محفورة الى الابد في ضمير البروليتاريين » (٢) .

١٠ ــ الافادة من روابط الجنود العائلية لتفكيك صمودهم وجذبهم من معسكر الاعداء . ونحن نعرف كيف تجتمع نساء الجنود الفيتناميين الجنوبيين وأهلهم حول اي موقع يحاصره الثوار ، ويبدأون بارسال الرسائل بمكبرات الصوت ، وينادون الجنود بأسمائهم ، ويطالبونهم بالفرار وترك الخدمة في الجيش العميل ، ويقدمون لهم التوعية الوطنية والسياسية اللازمة. كما نذكر الرسالة الشهيرة التي اذاعتها ابنة رئيس الوزارة الاردنية محمد الداوود عن طريق صوت الثورة الفلسطينية خلال انتفاضة الاردن في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ تناشده فيها العودة الى ضميره ، وفتح عينيه لرؤية السبيل الخاطىء الذي يسير فيه . «وفي كل مكان تضحي النساء بكل شيء في سبيل المثل الاعلى السياسي والذي من اجله يقاتل ازواجهن وأخوتهن وأبناؤهن حتى الموت . ويساهمن بعملهن هذا في اضعاف المنظمات

---

(١) لينين «مختارات» المجلد ١ ، الجزء ٢ ، ص ١٦٩ ــ ١٧٠ ، دار التقدم ، موسكو .

المعادية : اذ يشجعن المواطنين على الفرار من الخدمة» (١) .
ويتحدث بيان ايرا كارا ـ مارس (آذار) ١٩٦٦ عن الخدمة الالزامية في فنزويلا ويحدد المهام المطروحة للنضال فيقول : «فمن اهم المهام المطروحة على كافة مناوئي الحكومة الائتلافية الحالية هي تعبئة الامهات والزوجات ، الخ ، للاحتجاج على ارسال الرجال الى الحرب ضد الثوار ، وحث الشباب على رفض الخدمة العسكرية التي تقودهم الى موت محقق ، وتكتيل الجماهير الشعبية للنضال ضد التجنيد» .

١١ ـ تنمية النزعة المضادة للعسكرية داخل قوات العدو عن طريق .

ـ عزل الجيش عن الشعب .

ـ اقناع الجنود بعدم عدالة قضيتهم .

ـ اثبات حقيقة وقوف الجيش عقبة كأداء امام تطور الشعب السياسي .

ـ التشكيك باخلاص الجيش لشعبه وتعاونه مع العدو الخارجي .

ـ اقناع الجندي بأن المثل العليا التي يخدمها في الجيش تناقض مثله العليا .

١٢ ـ استخدام كل وسائل الدعاية كالاذاعة والصحف ، والملصقات ، والنشرات المختلفة المكتوبة بلغة مبسطة واضحة ، وحول مواضيع تلامس حياة الجنود اليومية، ويمكنهم التأكد من جميع او من بعض المعلومات الواردة فيها بانفسهم بصورة ملموسة. ولقد لعبت الصحف الثورية دورها في جميع الثورات،

---

(١) غابرييل بونيه «الحرب الثورية في فيتنام» ص ٥٣ ـ ٥٤ ، دار الطليعة ، بيروت .

ووزعت على نطاق واسع في الثكنات وأماكن تجمع الجنود، وكان لها اثرا كبيرا في توعية الجنود . بيد ان تقدم الاساليب التقنية المعاصرة ، وقدرة القوى الثورية على اقامة محطات اذاعة محلية متنقلة، او الافادة من محطات اذاعة الدول المجاورة المؤيدة للثورة تسهل عملية نقل الفكر الثوري وتغلغله بين اوساط الجنود . وتنقل الخمائر الثورية الى داخل الثكنات رغم الجدران العالية والاسلاك الشائكة التي يحرص الرجعيون على احاطة الثكنات بها لمنع اشعة النور من التسرب الى حجرات الفكر المظلم .

١٣ ــ المطالب الجزئية : ويمكن اكتساب بعض فصائل قوات القمع عن طريق التحريض الخاص بالمطالب الجزئية ، واصلاح قسم من مظاهر الحياة العسكرية . وتختلف هذه المطالب وتتنوع باختلاف البلاد وطبيعة الجيوش ونوع العلاقات في داخلها . ومن المهم ان تلامس اهتمامات الجنود وان يستطيع اكبر عدد من الكادحين فهمها والاقتناع بها . ولعل اهم مرجع في هذا الصدد هو : «افكار ومقررات المؤتمر السادس للاممية الشيوعية ــ الدراسة حول الصراع ضد الامبريالية ، ومهمة الشيوعيين» . وتذكر هذه الوثيقة عددا كبيرا من المطالب الجزئية المختلفة . بيد ان كبر عدد هذه المطالب ، وتنوعها ، وتباينها ، واختلافها باختلاف الزمان والمكان ، وتبدل الاوضاع الثورية والاجتماعية ، يدفعنا الى الاكتفاء بذكر بعضها كأمثلة :

- تسريح جيوش المرتزقة .
- تخفيف عدد الدرك والشرطة .
- نزع سلاح المنظمات الفاشية .
- الغاء القطعات الخاصة .
- الغاء وسائل القمع السرية .
- تخفيف مدة الخدمة العسكرية الالزامية .
- تطبيق نظام الخدمة المحلية .

ـ الغاء الفروق الكبيرة بين الضباط والجنود .
ـ تشكيل لجان الجنود .
ـ الغاء التحية العسكرية في الشوارع .
ـ تخفيف شدة قانون العقوبات العسكري بالنسبة لمواضيع الانضباط .
ـ الغاء العقوبات الجسدية . وزيادة عقوبات الضباط الذين يرتكبونها .
ـ الغاء الاهانات وزيادة عقوبات الضباط الذين يرتكبونها.
ـ زيادة الرواتب .
ـ تحسين الطعام .
ـ الحق بارتداء اللباس المدني خارج الثكنة .
ـ السماح بالخروج من الثكنة .
ـ الحق بالزواج بدون اذن مسبق .
ـ زيادة الاجازات .
ـ الحق بالاشتراك بكافة الصحف .
ـ حق الانتخاب وحضور الاجتماعات السياسية .
ـ حق التحدث باللغة القومية والتدريب باللغة القومية (بالنسبة للجيوش المؤلفة من عدة قوميات) .
ـ تأمين الضمان الاجتماعي .
ـ تنفيذ الخدمة المحلية (اي قيام الجنود بالخدمة في مناطقهم الاصلية) .
ـ الترفيع من مرتبة جندي الى مراتب الضباط (عند توفر الاهلية) .
ـ الغاء رسوم الانتساب الى الكليات الحربية ... الخ.

وعلى المنظمات الثورية التي تطرح هذه المطالب الجزئية ان تؤمن ما يلي :

آ ـ معرفة الجيش المطلوب تفتيته ، ودراسة مطالب

الجنود الحقيقية .

ب ـ معرفة نظام الدولة الدفاعي في كل لحظة .

جـ ـ معرفة حالة الجيش المعنوية والوضع السياسي في البلاد .

د ـ تأمين توافق المطالب الجزئية مع شعارات الحزب .

هـ ـ ارتباط المطالب ببرنامج سياسي يرمي الى تثوير الجيش .

١٤ ـ ضرب العدو بعنف : ان كل اساليب التفتيت التي تحدثنا عنها بحاجة في نهاية المطاف الى قوة تؤيد حججها . ومهما كانت اساليب التفتيت حاذقة فانها لا تؤتي كلها الا اذا رافقتها ضربات شديدة في كل مكان .

ان تفتيت قوات القمع لا يحتاج الى نهج سياسي ماركسي صحيح فحسب، ولكنه بحاجة الى نهج عسكري ماركسي صحيح ايضا.

وتدل تجارب الحروب الثورية ان الدعاية السياسية التي لا ترافقها عمليات حربية فعالة لا تثير لدى جنود الخصم سوى ابتسامات السخرية . على حين ان طول مدة الحرب ، وعنفها، ونشاط الثوار فيها ، وشجاعة القوات الثورية واقدامها واستبسالها يعطي الدعاية الثورية قيمة اكبر من قيمتها الحقيقية ويعجل في تفتيت قوى معسكر العدو . وعندما حدد ماوتسي تونغ فوائد عمليات الانصار ضد العدو ذكر ١٨ فائدة كانت احداها «خلق افضل الظروف لتفكيك قوات العدو» .

التنظيمات السياسية والعسكرية داخل القوات المسلحة

ولكي يتم تطبيق كل هذه الاساليب بفاعلية لا بد من خلق مرتكزات ونقاط استناد داخل وحدات القوات المسلحة الاساسية (سرايا المشاة ، سرايا المدرعات ، بطاريات المدفعية ، مصالح المؤخرات ، هيئات الاركان ، وحدات النقل ، مراكب القتال ..

الخ) ويتم ذلك عن طريق خلق النواة الاساسية ، ثم معرفة اعضاء المنظمة الثورية المطلوبين الى الخدمة الالزامية ، واعطائهم التعليمات المفصلة حول دورهم داخل خلايا وحداتهم ، واساليب ارتباطهم بالنواة داخل الجيش وبالمنظمة الثورية خارجه . ويبدأ التنظيم عادة في المواقع الحساسة ، والمناطق التي يسود فيها المناخ الثوري ، والقطعات الهامة التي يمكن ان تؤثر على قلب ميزان القوى .

ولا شك في ان الخلايا الثورية داخل الجيش عبارة عن واجهة تمثل المنظمة او الحزب الثوري وتعكس بتصرفاتها ونشاطاتها تكتيك الحزب او المنظمة بالنسبة لكافة الامور والمسائل دونما استثناء . وليس للتنظيم داخل الجيش خط سياسي خاص ، فما هو الا جزء من الحزب او المنظمة ويطبق سياستها العامة .

ولكي يستطيع التنظيم العسكري تنفيذ مهماته بنجاح لا بد له من التعاون مع التنظيم الحزبي في منطقته . ويتم الاتصال عن طريق مندوبين موثوقين بشكل لا يقبل مجالا للشك ، يحملون المعلومات العسكرية التي يقدمها التنظيم العسكري حول اوضاع الجيش ، ويقدمون لهذا التنظيم التعليمات والمطبوعات . ويطبق المندوبون اساليب العمل السري للتخلص من مضايقات التحري البوليسية والقمع الوحشي التي يستخدمها ممثلو الطبقة المضطهدة ضد كل من يمارس الدعاية السياسية داخل الجيش. ويتم التركيز كما ذكرنا على اكتساب الجنود وصف الضباط دون ان نتجاهل اجراء محاولات لاكتساب صغار الضباط . ويتسم هذا العمل بصعوبة بالغة وخاصة قبل ظهور الوضع الثوري بصورة ملموسة . وتزداد الصعوبة اذا كانت الدعاية طبقية ، على حين انها تقل اذا كانت وطنية ديمقراطية .

وتحلل مقررات مؤتمر التنظيمات العسكرية وتنظيمات القتال في الحزب الاشتراكي ــ الديمقراطي الروسي المنعقد في عام ١٩١٦ التركيب الطبقي للضباط وارتباطهم المصلحي بالسلطة الرجعية، ولكنها تعود لتؤكد ان امكانية انضمام عدد من الضباط الى صفوف الثورة امر ممكن «وان بوسع هؤلاء الضباط استخدام معلوماتهم العسكرية الواسعة لتقديم خدمات جليلة في لحظة انتفاضة القطعات العسكرية وانتقالها الى صف الشعب ، وفي فترة الاعداد التقني للانتفاضة المسلحة» .

ويرى المؤتمر ما يلي :

« ١ ــ لا تستطيع التنظيمات العسكرية تأسيس تنظيم اشتراكي ديمقراطي مستقل بين الضباط .

٢ ــ ينبغي استخدام مجموعات المعارضة المكونة بين الضباط بغية الحصول على المعلومات ، وادخال بعض افرادها في تنظيماتنا العسكرية وتنظيماتنا القتالية كمدربين او كمسؤولين عن الادارة العملية» (١) .

وتؤكد التجارب الثورية الحديثة في الصين وفيتنام وكوبا وغيرها روح مقررات المؤتمر المذكور. ويقول ارنستو تشي غيفارا بهذا الصدد : «واضح ان ثمة حالات فردية حيث يقطع بعض العسكريين كل صلة بماضيهم ويدخلون النظام الجديد بروح تعاون مطلقة . انهم عندئذ مفيدون على مثلين ، اذ انهم يجمعون بين الارتباط بقضية الشعب ، وبين المعارف اللازمة لاقامة بناء الجيش الشعبي الجديد» (٢) . وفي حديث مع دوغلاس برافو (القائد العام لجيش التحرير الوطني في فنزويلا) وردا على

---

(١) الحزب الشيوعي والجيش ، موسكو ، ١٩٢٨ ، ص ٤٩ .
(٢) جيفارا ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

سؤال عن الطبقات الاجتماعية التي ينتمي اليها هو واعضاء قيادة الثورة عدّد برافو اسماء اعضاء القيادة وكانوا ١٣ شخصا منهم اربع ضباط ، ومهندسان وطالبان واستاذان، وطبيب ، ومذيع، وزعيم فلاحي . اي ان اكبر نسبة هي نسبة الضباط الذين تخلوا عن جيش القمع وانضموا الى صفوف الثورة .

ولاعطاء صورة حية عن العمل السياسي داخل الجيش لا بد لنا من العودة الى تاريخ الحزب البلشفي وذكر بعض مقاطع خطاب باروسلافسكي امام المؤتمر الدولي السادس للاممية الشيوعية ، والذي قال فيه : «واستطعنا في اقسى ظروف العمل غير الشرعي خلق اكثر من ٢٠ صحيفة سرية للدعاية الثورية داخل القطعات العسكرية من عام ١٩٠٥ حتى عام ١٩٠٧ . وكان لكل موقع هام مثل ريفا وريفال ... وموسكو ، الخ ، صحيفة خاصة بالجنود يصدرها التنظيم السري ويوزعها اعضاء هذا التنظيم بانفسهم او عن طريق بعض العمال المرتبطين بالجنود. فاذا اردنا تعداد النشرات التي وزعناها ، كان عليّ ان اقول بأنه لم يقع حادث سياسي هام الا وأصدرنا بمناسبته منشورا موجها الى الجنود . وكنا نوزع هذه المنشورات بأعداد كبيرة على اوسع نطاق (عدة آلاف) ولم يكن التوزيع يجري في الموقع المجاور فحسب ، بل في المنطقة بأكملها ، مع الاستفادة من جميع المناسبات .

« وكان تكوين تنظيمنا كما يلي : لقد كنا نعرف بأن الجيش لا يشكل جسما متماسكا او من طبيعة واحدة . ولم نكن نسعى الى جذب الوحدات بأكملها مهما كلفنا الامر ، بل كنا نختار الوحدات التي يسمح لها تكوينها بتقبل دعايتنا الثورية . وكان معظم جهدنا ينصب على القطعات التي تضم نسبة كبيرة من العمال ، كالمدفعية ، والمهندسين، والبحرية ، والاسلحة الخاصة حيث يوجد كثير من العمال .. وكان نجاحنا محدودا في قطعات

الخيالة التي تضم نسبة كبيرة من الفلاحين الموسرين . وينطبق هذا القول على بلاد الغرب حيث يبقى الفلاحون الموسرون المصدر الاساسي لقطعات الخيالة .

«ولقد شكلنا في كل وحدة نواة صغيرة سرية ، يجتمع ممثلوها داخل لجان سرية للكتيبة والفوج . وكانت هذه اللجان ترتبط بخلايانا العسكرية السرية خارج الثكنات . ومن البديهي ان جميع اتصالات التنظيم العسكري كانت تتمتع بسرية بالغة. وكنا نختار رفاقا موثوقين كل الثقة، دون ان نهتم بزيادة العدد، لاننا لا نعتبر التنظيم العسكري قوة قادرة على القيام بعمل مباشر ، بل نعتبره كعنصر منظم قادر على ان يجر خلفه في اللحظة الملائمة مجموع الجنود والبحارة الموالين. لهذا كنا نفضل النوعية على العدد . ومع هذا فقد كان لدينا في بعض الحالات تنظيمات يضم الواحد منها مئات الرجال مثل تنظيم كرونشتادت وسيباستبول وغيرهما . وانني لاود ان اذكركم بأننا عرفنا وسط ظروف اللاشرعية الصعبةكيف ننظم الاجتماعاتوالمؤتمرات العسكرية . ولقد عقدنا واحدا منها في موسكو خلال ربيع عام ١٩٠٦ . صحيح انه تم اعتقال كافة المجتمعين تقريبا منذ الاجتماع الاول ، ولكن الاجتماع ترك آثارا لا تمحى ... »

والحقيقة ان علينا عند تخطيط تفتيت قوة من القوات المسلحة ان نحدد ماهيتها الاساسية ويمكن تصنيف الجيوش تحت زمرتين واسعتين اساسيتين هما :

اولا : الجيوش الامبريالية في المستعمرات وشبه المستعمرات ، والجيوش الرجعية المرتبطة معها برباط التحالف والتبعية .

ثانيا : جيوش التحرير الوطني (غير الثورية) المناضلة ضد الامبريالية الاجنبية في سبيل الاستقلال الوطني والثورة الديمقراطية .

ويتلخص التصرف حيال جيوش الزمرة الاولى بتفتيتهـا الكامل ، وطرد الجيوش الامبريالية خارج البلاد . اما التصرف حيال جيوش الزمرة الثانية فيتلخص ببث الروح الديمقراطيـة بين صفوفها ، واكتسابها الى جانب الثورة ، وتقوية تأثير فكـر الطبقات المضطهدة في داخلها .

ولقد اثبتت تجربة الثورتين الروسية والصينية علـى ان سرعة تحول الثورة الديمقراطية الوطنية الى ثورة اشتراكيـة تتعلق بمدى تغلغل الروح الثورية داخل الجيوش الديمقراطيـة الوطنية ، ودرجة التأثير السياسي والمـادي الذي حققتـه البروليتاريا وحزبها الطليعي في قلب هذه الجيوش .

واذا كانت تجربة ثورة اوكتوبر الاشتراكية في روسيا ، وانتصار البلاشفة على الكيرنسكيين وأعوانهم دليلا ايجابيا علـى هذا المبدأ ، فان الدليل الاخر (السلبي) كامن في فشل تجربـة الحزب الشيوعي الصيني خلال فترة التحالف مع الكومينتانـغ (حتى يوليو ــتموزــ ١٩٢٧) بعد عجزه عن تعبئة الجيش الوطني سياسيا، واتباع قيادته، حتى اجتماع اغسطس ــآبــ ١٩٢٧، لسياسة انتهازية استسلامية استمدت جذورهـا من فكـرة تشين‌ــدوــسيو القائلة : «ينبغي مد الثورة قبل كل شيء ، ثم يمكن العمل بعد ذلك على تعميقها» .

٦ ــ الخلاصـة

ان معرفة طبيعة القوات المعادية بعمق، ودراسة تناقضاتها الداخلية ، وفهم طبيعة المرحلة التي تمر بها الثورة ، والوضـع السياسي السائد ، هي السبيل الوحيد لتحديد اساليب تفتيت قوى القمع . وما ان يتم التحديد حتى يبدأ استخدام الاساليب داخل القوات المعادية (تنظيم عسكري سري) وخارجها . ويتـم تنسيق الاستخدامين عن طريق قيادة مركزية واحدة . وتتصاعد

حدة تطبيق الاساليب مع تزايد نضوج الوضع الثوري حتى تصل الى ذروتها خلال الازمة والصدام . على ان يخضع التحريض في كافة مراحله الى فكرتين اساسيتين هما : «التمييز والهجوم» وان يتحلى بروح النضال لاكتساب الجيش .

ويعلمنا تاريخ الثورات انه لو تعرض الجيش والشرطة في المانيا لاعداد ثوري ملائم لما استطاعت الحكومة احتلال الساكس وتورينغ بسهولة في عام ١٩٢٣ . ولو خلقت القوى الثورية في استونيا تنظيما سياسيا قويا داخل الجيش لما تمكنت الرجعية من سحق انتفاضة ريفال بكل بساطة في عام ١٩٢٤ . ولو تمكنت الثورة الصينية من تفتيت قطعات الجيش الوطني لما سحقت انتفاضة كانتون (١٩٢٧) ولما استطاعت الرجعية سحق انتفاضات شنغهاي الثلاث في اوكتوبر – تشرين اول – ١٩٢٦ وفبراير – شباط – ١٩٢٧ ومارس – آذار – ١٩٢٧ . ولو قامت المقاومة الفلسطينية بتحريض سياسي موحد داخل قوات القمع الاردنية، وشكلت في قلب هذه القوات «تنظيما عسكريا موحدا» لما تمكنت الرجعية الاردنية من خداع هذا الجيش ، الذي عُرفت كثير من قواته بوطنيتها الصادقة ، ولما تجرأت على استخدامه لضرب المواطنين خلال انتفاضة الاردن (١٩٧٠) في عمليةمن اكثر عمليات التاريخ الحديث وحشية – وخاصة قصف المخيمات بالمدفعية بدون تمييز ودون البحث عن اهداف عسكرية واضحة، ومنع تموين المدنيين بالماء والطعام ، ومنع وصول الامدادات الطبية لانقاذ الجرحى – ولبدأ التفتت داخل قوى القمع بشكل اوسع – علما بأن هذا التفتت قد بدأ ضمن حدود معينة ، وان مدة العمليات لم تكن كافية تماما لحصول التخمر الثوري اللازم للتفتت الكامل .

لقد لعب الجيش دورا حاسما ايجابيا او سلبيا في جميع

الانتفاضات المسلحة (شنغهاي ، بتروغراد ، موسكو ، كراكوفيا، هامبورغ ، ريفال ، كانتون ، الاردن ... الخ) . وكان مصير الثورة دائما رهنا بتعاطف الجيش معها، وقدرة دولة المضطهدين على استخدامه ضد المضطهدين الثائرين ، ونتيجة الصراع الدائر بين الخصمين لاكتساب الجيش . ولا تتخلى الطبقات المستغلة عن امتيازاتها بمحض ارادتها ، ولا تترك السلطة عن طيب خاطر، ولا يتم انتقال السلطة من طبقة الى اخرى الا عن طريق استخدام القوة المادية ، والجيش هو العنصر الاساسي لهذه القوة .

المناطق المحررة في حرب العصابات

« الحمقى وحدهم يحتقرون تجارب غيرهم »

بسمارك

يكشف لنا تحليل احداث سبتمبر (ايلول) كثيرا من الدروس السياسية والعسكرية . ولكن اهم ظواهر هذه المجابهة ولا شك هو خلق المناطق المحررة ، وطرح شعار الثورة الفلسطينية ـ الاردنية على نطاق واسع . ويشكل هذان الامران خطوتين واسعتين جديدتين على طريق تطور المقاومة . فاذا كان شعار الثورة الفلسطينية ـ الاردنية يحمل خطوة سياسية الى امام ، فان فكرة المناطق المحررة بحد ذاته تطور نوعي لا يستهان به . والامران مترابطان بشكل وثيق اذ ان خلق المناطق المحررة في شمال الاردن كان يعني مشاركة الفلسطينيين والاردنيين في الثورة وتحرير الشعبين المسحوقين من ظلم النظام الملكي ، كما ان انطلاق الثورة الفلسطينية ـ الاردنية يعني دعم جماهير المنطقة المحررة كلها لقوات المقاومة والادارة التي تمثلها . وليس من المستغرب ظهور المنطقة المحررة في الشمال قبل ظهورها في الجنوب او الوسط ، لان ظروف الشمال خلال هذه المجابهة بالذات كانت مختلفة كل الاختلاف عن ظروف المناطق الاخرى .

ولسنا هنا بصدد تقييم هذه التجربة ، وتحديد ايجابياتها وسلبياتها ، والوصول الى استنتاجات عملية حولها . ولكننا نود هنا طرح موضوع المناطق المحررة بشكله العام لانه اذا كان من حق المقاومة ان تختار الاستراتيجية التي تريدها فان من واجبها ان تشرح لقواعدها الجماهيرية العريضة كثيرا من الاسس التي تساعدها على وعي المواقف الملموسة ، دون ان يكشف هذا الشرح نوايا المقاومة وأساليبها في القتال والقيادة والادارة .

ما هي المناطق المحررة ؟

والمناطق المحررة عبارة عن ارض واسعة يختارها الثوار بدقة خلف العدو ويحتلونها ، ويمارسون فيها سلطتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية وتكون بمثابة مؤخرة حقيقية لهم .

ويمكن ان نقول بأنها دولة ضمن الدولة او دولة وراء الدولة . وهذا ما يجعل امكانية خلقها مرهونة بحالة الدولة ، ومدى ضعفها وعجزها . وينجم هذا الضعف والعجز عادة من : تفكك القوات المسلحة المعادية ، او انخفاض روحها المعنوية وفضائلها الحربية ، او عدم تناسب القوة المتوفرة مع الارض التي تنوي الدولة السيطرة عليها ، او وجود تناقضات داخلية بين الفئات او الطبقات الحاكمة ... الخ .

ولقد اشار ماوتسي تونغ خلال الحرب ضد اليابان الى ضرورة انشاء المناطق المحررة وأهميتها الاستراتيجية والدور الهام الذي يمكن ان تلعبه المناطق المعدة مسبقا في اي صراع طويل الأمد .

والحقيقة ان الشيوعيين الصينيين فهموا اهمية المناطق

المحررة منذ ايام بعثة بورودين ، وعرفوا كيف يستفيدون منها. ويقول ماوتسي تونغ في هذا الصدد : «يتعذر على العصابات ان تعيش طويلا وان تتطور بدون قاعدة»(١). ويؤكد ان التسهيلات التي حصلت عليها العصابات الصينية لتشكيل المناطق المحررة في اماكن «وهبتها لنا الطبيعة» ، وساعد على تأسيسها ضعف قوات العدو الياباني ، خاص العصابات من الاعتماد على التجوال الدائم ، او الاكتفاء بحرب الاغارات التي لم تنجح من قبل في اي بلد من البلاد .

وكانت عملية خلق المناطق المحررة في الصين تبدأ بتشكيل مفرزة قوية قادرة على تدمير قوات العدو او الانتصار عليها بشكل حاسم ، ويلي ذلك بناء الكوادر ، وتسليح الشعب . وتوسيع القوات لالحاق الهزيمة النهائية بالعدو مع توسيع القاعدة الجماهيرية حتى يتم الوصول في نهاية الامر الى الثورة الجماهيرية الشعبية .

ولم ينس الفييت مينه دروس ماوتسي تونغ فأنشأوا المناطق المحررة في القسم الشمالي الشرقي من البلاد قرب الحدود الصينية ، ثم وسعوها باستمرار وخلقوا مناطق جديدة. وبعد معركة نينه بينه قال قائد قوات الفييت مينه : «ولتحقيق هدفنا لا بد لنا من تنفيذ ما يلي : تصعيد حرب العصابات ، وتقوية الجيوش المحلية ، وتدمير الادارات العاملة في خدمة الفرنسيين ، وتوسيع المناطق المحررة على مؤخرة العدو ، وتنشيط عملية تقوية القواعد الشعبية» .

ومارس الماليزيون اولى محاولاتهم بهذا الصدد في عام

---

(١) ماوتسي تونغ «المسائل الاستراتيجية لحرب الانصار ضد اليابان» في«كتابات عسكرية» دار ابن سينا ــ بيروت ١٩٦٧

١٩٤٥ اذ قاموا بعد انهيار اليابان بالخروج من الادغال وفرض سيطرتهم على مناطق متعددة ، ثم تخلوا عنها للادارة العسكرية البريطانية . وفي عام ١٩٤٨ تمركز الثوار الشيوعيون في مناطق القرى الصينية التي كانت تؤيدهم وتقدم لهم الدعم والعون على شكل تموين ومتطوعين . وكانوا يظنون ان الفلاحين وعمال المناجم سينضمون الى صفوفهم بحيث يصبح بوسعهم انشاء المناطق المحررة وتوسيع نطاقها . ولكن فشلهم في الدعاية بين الجماهير ، وأساليب خصومهم الفعالة حرمتهم من انشاء هذه المناطق ، واجبرتهم على شن حرب طويلة منهكة دون ان تكون لديهم الوسائل الاستراتيجية اللازمة لذلك .

واستفاد الكوريون من مناطقهم المحررة في منشوريا في النصف الاول من الثلاثينات خلال صراعهم ضد اليابانيين . واعتبروها قواعد للمؤخرات ونقاط ارتكاز لعمل العصابات ، ونظروا اليها «كضرورة ملحة لصيانة وتربية القوى الثورية ضد الارهاب الابيض للامبريالية اليابانية الذي جعل آنذاك اكثر من نصف ارياف منشوريا الشرقية ارضا محروقة» (١) . ثم انشأوا في النصف الثاني من الثلاثينات منطقة محررة في جبل باكتوسان المنيع «من اجل تعزيز الكفاح المسلح والنشاط السياسي في المناطق الشمالية لكوريا وعلى ضفاف نهري امنوكان وتومانكان، والدعوة لدفع الجماهير في البلاد بأسرها للكفاح ضد اليابانيين ... » (٢) ولضمان تموين ومؤخرة قوات العصابات

---

(١) وثيقة حول استراتيجية وتكتيك الفترة المجيدة للنضال المسلح المعادي لليابان في كوريا ــ تبناها المؤتمر الثقافي المنعقد في هافانا ، ص ٢٥ ــ ٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

والسماح لها بالراحة والتدريب في مناطق امينة لا يمكن للعدو بلوغها .

وفهمت حركة تيتو في يوغوسلافيا منذ بداية الصراع ضرورة انشاء مناطق محررة فمنذ شهر اغسطس (آب) ١٩٤١ انشأت العصابات شبه ادارة في المدن والقرى الصربية ، ثم تم توسيع هذه المناطق بالتدريج ، وكان سقوط منطقة ما بيد العدو يدفع العصابات الى تشكيل مناطق جديدة في مكان اخر في البوسنة والجبل الاسود . وفي النصف الثاني من عام١٩٤٢ سيطر اليوغوسلافيون على جزء كبير من كرواتيا والبوسنة ، وما ان خرجت ايطاليا من الحرب حتى ضمت المناطق المحررة اجزاء من دالماسيا وسلوفانيا .

وفي الحرب الاهلية اليونانية (١٩٤٧ ــ ١٩٤٩) خلق الثوار منطقة محررة قرب الحدود اليوغوسلافية والالبانية . وكان لهذه المنطقة اهداف سياسية وعسكرية ، بالاضافة الى اهميتها لتأمين الامداد والتموين عبر الحدود ، خاصة وان يوغوسلافيا والبانيا كانتا تؤيدان الثوار وتدعمانهم .

ومن احدث الامثلة عن تشكيل المناطق المحررة المثال الكوبي في السييرا مايسترا خلال الصراع ضد قوات باتيستا . علما بان حجم هذه المناطق ومهماتها وطبيعتها وكثافة سكانها وطبيعة الصراع نفسه تجعلها مختلفة عن المناطق المحررة الصينية او اليوغوسلافية اختلافا بيِّنا . ويتحدث دوغلاس برافو عن المناطق المحررة في فنزويلا فيصفها بأنها «تلك المناطق التي يشتد فيها ساعد قواتنا المسلحة ، وينمو فيها جيشنا ويكون لنا فيها نفوذ على الاهلين» (١) .

---

(١) دوغلاس برافو ، «الثورة المسلحة في فنزويلا» ص ١١٣ ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٩ .

كيف يجري اختيار المناطق المحررة ؟

ويتم اختيار المناطق المحررة بعناية وتدقيق ، ولا بد ان تتوفر فيها الشروط الاساسية التالية :

١ ــ طبيعة الارض : لا بد ان تكون المناطق المحررة منيعة قادرة على الصمود بقوات قليلة ، لان العدو المتفوق لا يلبث ان يهاجمها محاولا تدميرها منذ بداية تأسيسها . وتعتبر الجبال المشجرة مناطق نموذجية كما تصلح الغابات ومناطق المستنقعات والادغال لخلق المناطق المحررة . «ولا يشكل وجود القواعد على خط الحصار عاملا كبير الاهمية عند اختيار مكان القواعد التي لا بد من انشائها في كل بقعة صالحة لذلك» (١) .

وتزداد اهمية مناعة الارض مع تزايد قدرة القوات المدرعة على الصدمة والمناورة وارتفاع غزارتها النارية الى درجة عالية. الا ان المناعة الناجمة عن الوعورة تفقد جزءا كبيرا من اهميتها اذا كانت قوات العدو المضادة للعصابات تستخدم طائرات الهليكوبتر على نطاق واسع .

٢ ــ سعة الارض : لا يمكن للارض الجيدة المنيعة انتشكل منطقة محررة الا اذا تمتعت بسعة كافية لمناورة العصابات وحركتها . فاذا لم يكن ذلك متوفرا قامت العصابات بتشكيل معسكرات ومخابىء بدلا من المناطق المحررة . ويقول ماوتسي تونغ «أن هذه الامكانية في بلد صغير كبلجيكا امكانية ضعيفة ان لم تكن معدومة» (٢) . فاذا لم تكن البلاد واسعة فقدت المناطق

---

(١) اوتو هيلبرون «حرب الانصار» ص ٥٥ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧١ .

(٢) ماوتسي تونغ «كتابات عسكرية» ص ٢٢٤ .

المحررة قيمتها ومنعتها وقدرتها على الصمود ، وضاعت فوائدها الاستراتيجية بسبب مساوئها التكتيكية .

٣ ـ السكان : يلعب وجود السكان وكثافتهم وقدراتهم الانتاجية ومستوى تعبئتهم النفسية ومدى تجاوبهم الاولي مع العصابات وارتباطاتهم بها دورا لا يمكن تجاهله عند اختيار المناطق المحررة. لان القوة البشرية تبقى دائما روح المنطقة واداتها وهدفها . وتكون بالنسبة للعصابات المصدر الاساسي لمدها بالرجال ، وارض الحرث الفكري الاساسية .

٤ ـ الوضع الاقتصادي : لا يمكن اعتبار اية بقعة من بقاع البلاد صالحة لخلق المناطق المحررة الا اذا كان في هذه البقعة مصادر تموينية كافية لاستمرار حياة السكان والعصابات في حالات التطويق . ولا يقصد بالحياة هنا نوع من الحياة المرفهة الرغدة ، بل يقصد بها الحد الادنى من الغذاء والماء ، الذي يتوفر في معظم البلاد السهلية الزراعية والمناطق الجبلية المشجرة الغنية بالمياه ، ولكنه يغدو مفقودا في الصحاري او مناطق السهوب والجبال الجرداء الفقيرة بالمياه .

وهناك رأي يقلل من اهمية هذه النقطة ويقول بان العصابات تعيش حيث تستطيع القوى المضادة للعصابات ان تعيش . «فاذا استطاع العدو الذهاب الى منطقة من المناطق كان ذلك ناجما عن وصول عدد من السكان الصينيين الى هذه المنطقة واقامتهم فيها منذ امد بعيد ، أي احتوائها على الشروط الاقتصادية اللازمة للبقاء». (ماو) . بيد انتطور تموين الجيوش والقطعات المضادة للعصابات يجعلها قادرة في الوقت الحاضر على مطاردة العصابات والعيش طويلا في مناطق لا تتوفر فيها شروط البقاء ، الامر الذي يجعلها تتفوق على العصابات بشكل لا سبيل الى تعديله .

وقد تعدل سعة مساحة المناطق المحررة جزءا من معضلة التموين رغم فقر هذه المناطق من الناحية التموينية . ولكن هذا لا ينفي ان على العصابات ان تقوم في كافة الحالات باعداد المنطقة اداريا ضمن خطة اعداد المنطقة المحررة من كافة الوجوه (عسكريا وسياسيا واداريا) . ونحن نعني بالاعداد الاداري : تنظيم الانتاج الحربي ، وتخزين المؤن بكمية كبيرة ، وانشاء المستشفيات ... الخ .

وتبقى مسألة الامداد بالسلاح والذخيرة مسألة هامة ذات افضلية اولى ، ولا تتم الا بأحد الاساليب التالية :

١ ــ الاستيلاء على سلاح العدو وذخيرته .

٢ ــ توفير بعض الاسلحة والذخائر البدائية وخاصة الالغام والقنابل اليدوية عن طريق الصناعة المحلية .

٣ ــ الامداد عن طريق الجو من قبل دولة صديقة او عن طريق وجود المناطق المحررة على حدود هذه الدولة الصديقة .

استناد ظهر المناطق المحررة الى حدود دولة صديقة

ومن هنا تأتي القاعدة القائلة : بان بوسع العصابات خلق المناطق المحررة مع تجاوز بعض المتطلبات الخاصة بالسعة ، او الوضع الاقتصادي ... الخ اذا وقعت هذه المناطق على حدود دولة صديقة مستعدة للقيام بدور العمق الاستراتيجي والبشري والاقتصادي للمناطق المحررة . وفي هذه الحالة يأخذ الدفاع عن هذه المناطق لتأمين استمرار الاتصال مع الدولة الصديقة اهمية حيوية هامة قد تدفع العصابات الى التشبث بها والدفاع عنها بكل ثمن ، مخالفة بذلك كثيرا من مبادىء حرب العصابات. ومن المعروف مثلا ان الثوار اليونانيين اختاروا بعد الحرب العالمية الثانية عددا كبيرا من المناطق لممارسة اعمالهم الثورية .

وكانت اهم المناطق بالنسبة لهم هي مناطق الشمال وفيتسي وغراموس القريبة من الحدود مع يوغوسلافيا والبانيا اللتان كانتا تقدمان لهم كل عون ودعم . وهكذا اضطروا الى الدفاع عن هذه المناطق بصورة دائمة لتأمين طريق الامداد والانسحاب ، وصدوا عدة هجمات معادية ، ولكنهم تعرضوا في عام ١٩٤٩ للهزيمة عندما اجبرتهم القوات الحكومية على الدخول بمعركة تقليدية لا تتلاءم مع تدريبهم واستعدادهم وتسليحهم . وما ان سقطت منطقة الحدود المحررة حتى انتهت امكانية استمرار الثورة في المناطق الداخلية .

تطوير المناطق المحررة

ولا يكفي انشاء المناطق المحررة والحفاظ عليها اذ لا بد للعصابات من تقويتها وتطويرها وتوسيع حدودها مع الزمن وهذا يعني :

- تقوية مناطقها الحيوية الى ابعد حد ممكن بتحصينات ميدانية .
- انشاء المستودعات التموينية .
- اقامة الصناعات الحربية ، وصناعة الالبسة والسكاير والمواد الضرورية .
- اعداد مستشفيات ومستوصفات .
- فتح مدارس لتعليم ابناء الفلاحين ومحو الامية بين المقاتلين .
- اعداد الخلايا التثقيفية لتوعية الجماهير .
- اعداد المطابع الميدانية اللازمة لطبع المنشورات والتوجيهات .

ويقول ماوتسي تونغ ان هناك حالات تكون الافضلية فيها لعملية التوسيع والتطور وزيادة عدد القوات المقاتلة ، على حين

نجد حالات تأخذ فيها عمليات اعداد الجماهير وتوعيتها افضلية اساسية اولى . والحقيقة ان تقوية المناطق المحررة وتوسيعها وتطويرها يعني زيادة حرية العصابات في المناورة ، وتجريد العدو تدريجيا من بعض حريته ومبادهته ، وتبدو اهمية هذه النقطة واضحة اذا عرفنا ان هدفا هاما من اهداف اي مخطط استراتيجي هو توسيع مجال مناورة الصديق ، وتحديد مجال مناورة العدو الى اكبر حد ممكن .

وهنا لا بد لنا ان نذكر بان المناطق المحررة لا تلعب دورها الحيوي في مخطط العصابات الاستراتيجي الا اذا طالت مدة الحرب . فاذا استطاع الثوار استقطاب الاهالي ، وكان جيش العدو ضعيف المعنويات او يتعاطف مع الثورة ، فقدت الحرب صفتها كحرب طويلة الامد ، ولم تلعب المناطق المحررة فيها دورا اساسيا . ولكن اذا واجهت العصابات خصما عنيدا مصمما على القتال كان عليها ان تخطط لحرب طويلة الامد ، التي «تستهدف استنزاف الخصم وتعويده بصورة متدرجة على فكرة التخلي عن اهداف محسوسة ، وهذه هي المناورة بالاعياء التي تستند اليها استراتيجية ماوتسي تونغ» (١) علما بان طول مدة الحرب تساعد العصابات على اضعاف العدو وتبديل موازين القوى . وهنا تكون المناطق المحررة عاملا اساسيا يساعد على تحقيق هذا التبديل .

تنفيذ المهمات التحريرية

وتستطيع العصابات عادة الاعتماد على المناطق المحررة لتنفيذ مهماتها والوصول الى اهدافها بالاشكال الاربعة التالية :

---

(١) الجنرال اندريه بوفر «استراتيجية العمل» ص١٥٠ــ١٥١، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

١ ـ تكون المناطق المحررة بالنسبة للعصابات كالمؤخرات بالنسبة للجيوش النظامية . فهي تلعب دورا اداريا ، كما تسمح بتقوية الجهاز العسكري وتطويع المقاتلين وتدريبهم .

٢ ـ يمكن ان تطبق العصابات في المناطق المحررة تجاربها الاجتماعية والاقتصادية المتلائمة مع عقيدتها السياسية .

٣ ـ تستطيع العصابات في هذه المناطق سبر غور افكار السكان ودراسة حاجاتهم ومدى تقبلهم للافكار وتنسيق الافكار وتنهيجها وملاءمتها واعطائها للسكان من جديد ـ وهذا مبدأ معروف باسم «مبدأ من الجماهير الى الجماهير» .

٤ ـ مد مناطق النفوذ وتقليص مناطق العدو حتى يتم النصر الشامل .

٥ ـ محاصرة العدو بالتعاون مع المناطق الاخرى ، وقوات الثوار شبهالنظامية. ويقول ماو فيكتاب «القضايا الاستراتيجية في حرب العصابات» : تكون كل منطقة من المناطق المحررة محاصرة من قبل العدو ، بيد ان مجموع المناطق كلها وخطوط القوات النظامية تحاصر العدو . وهكذا يقع العدو المحاصِر داخل الحصار .

وبالرغم من اهمية المناطق المحررة وفوائدها فان البدء بتشكيلها قبل نضج الظروف اللازمة لذلك ، او في مناطق لا تتلاءم تماما مع متطلباتها ، يعرض العصابات لاخطار وتضحيات كبيرة . ومن اهم السلبيات التي تحملها المناطق المحررة ما يلي:

١ ـ ان وجودها يعني الخروج على قاعدة هامة من قواعد المفاجأة التي تشكل اساس حرب العصابات .

٢ ـ انها تشكل بالنسبة للعدو دعوة الى الهجوم ، وتفقد

العصابات عامل المبادهة ، وتقلل قدرتها على الحركة والتملص.

٣ ــ عندما تضطر العصابات الى ترك المناطق المحررة يتعرض الاهالي الى مختلف صنوف القهر والتعذيب من قبل العدو . الامر الذي يدفعهم عند السماع بهجمات معادية محتملة الى الهلع وترك قراهم واللجوء الى الجبال وخلق معضلات ادارية واجتماعية وسياسية امام الادارة المحلية التي تمثل سلطة العصابات . ويذكر هيلبرون في كتابه عن حرب الانصار ان العصابات اليوغوسلافية عرفت هذه الصعوبة ، لان الاهالي كانوا يتركون المناطق المحررة عند رحيل العصابات عنها ، ويشكلون علىالطرقات ارتال تعيق سرعة انسحاب قوات الانصار الثقيلة (١) .

٤ ــ تصبح المناطق المحررة عبئا خطرا اذا اضطرت العصابات لسبب من الاسباب ان تدافع عنها وتتشبث بها . ولقد رأينا ذلك بالنسبة للعصابات اليونانية التي اضطرت الى التمسك بالارض لتأمين الامداد والتموين . وقد تصادفنا مثل هذه الحالة عند دراسة عمليات المقاومة الفلسطينية خلال معركة البقاء ، التي اضطرت فيها الى الدفاع عن مناطق لا تقدم كل ميزات الدفاع حفاظا على ارواح سكان المخيمات الذين مارست قوات القمع الملكية البيضاء ضدهم عملية ابادة منظمة . كما قد تصادفنا عند دراسة عمليات المقاومة المقبلة والسابقة ضد العدو الاسرائيلي خلال معركة البقاء ومعركة التحرير .

وللخروج من هذه السلبية لا بد للعصابات ان تعتمد على القوات النظامية او شبه النظامية المنبثقة من العصابات والمسلحة والمدربة بشكل يساعدها على تنفيذ مهمات الدفاع والهجوم

---

(١) اوتو هيلبرون «حرب الانصار» ص ٥٥ .

بفاعلية، والاشتراك بمعارك تقليدية ضد قوات العدو التي تحاول غزو المناطق المحررة . ولقد اثبتت تجارب الحروب الماضية كلها ان العصابات عاجزة عن مجابهة الجيوش في معارك تقليدية ، وان هذه المجابهة بحاجة لارض ملائمة وقوات شبه نظامية . وهذا ما يتفق مع القول المشهور «بان الدور الاستراتيجي للعصابات (الثورية) دور مزدوج : هو تقديم الدعم والعون للجيش النظامي ، والانقلاب الى جيش نظامي» .

المناطق المحررة وقوات القمع

وهكذا نرى اهمية المناطق المحررة وايجابياتها وسلبياتها وأساليب الخروج من السلبيات والحفاظ على الايجابيات لتأمين توسيع القوى وزيادة حرية المناورة . بيد انه اذا كان اعداد مخطط المناطق المحررة مهما بالنسبة للعصابات فانه اشد اهمية بالنسبة للقوات المضادة التي تعتبر المناطق المحررة اهدافا ذات افضلية اولى .

وتعمد قوات القمع عادة الى مهاجمة هذه المناطق وتطويقها وتمشيطها لاجبار العصابات على الدخول في معركة تقليدية ضد قوات متفوقة ، ومنعها من كل فوائد الحرب السرية ، قبل ان تضرب الادارة الثورية بجذورها داخل صفوف الجماهير . وقبل ان تتمكن العصابات من اعداد الدفاع بشكل نظامي. ولا تستطيع العصابات ان ترد على ذلك الا بالمبادأة وشن الهجمات التعرضية الدائبة على مدن العدو وخطوط مواصلاته بشكل يجبره على بعثرة قواه لحماية اهدافه الحيوية بشكل يحرمه من التفوق اللازم للهجوم .

فاذا ما وجدت المنطقة المحررة قريبة من ارض دولة اخرى موالية للعصابات . او كان جزءا من قواعد هذه المنطقة يقع على

اراضي هذه الدولة استفادت العصابات من هذا الوضع الى اكبر حد ممكن (كالصين بالنسبة للهند الصينية ، ومصـــر وتونس والمغرب بالنسبة للجزائر ، والكونغو بالنسبة لانفولا ، وفيتنـام الشمالية ولاووس بالنسبة لفيتنام الجنوبية ، وسوريا والاردن ولبنان بالنسبة لحركة المقاومة) . وهنا يكون امام القـــوات المضادة عدة سبل للضغط السياسـي والدبلوماسي تنتهـــي بالتدخل العسكري . والتدخل هنا نوعان : التدخل الجـــوي والتدخل البري . ويمتاز التدخل الجوي بالعمق الكبير الـذي يصل اليه ، ولكن من الملاحظ انه لا يعطي رغم عنفه وشراسته اية نتيجة ملموسة اذا ما كانت الجماهير في المنطقة المحـــررة معبأة سياسيا ومتلاحمة مع العصابات بشكل وثيق . وقد يؤدي الى رد فعل عالمي لا يمكن انكاره اذا كانت مناورة القوات المضادة الخارجية على الصعيد الدولي غير كافية (ساقيةسيدي يوسف، اربد ، لبنان) اما اذا كانت المناورة الخارجية كافية امكن اجراء التدخل الجوي العنيف مع اثارة الحد الادنى من ردود الفعـــل العالمية الفعالة (قصف فيتنام الشمالية) . ويصل التدخـــل بالقوات البرية الى نتائج مادية افضل ، ولكن صلابة العصابات وصمودها يدفع التدخل في النهاية الى التوازن بين المناطـــق التي تسيطر عليها قوات القمع والمناطق الخاضعة للعصابات ، البعيدة عن المناطق الاولى او المتداخلة معها (لاووس) . وعلى كل حال فان التدخل البري يكون على شكل عملية غزو محلية مؤقتة (لبنان ـــ الاردن) ، او القيام بعمليات غزو واسعة النطـــاق (كعمليات اليابانيين في منشوريا ضد الكوريين في النصف الاول من الثلاثينات) . والشكل الاول هو الاكثر احتمالا في الظـروف الدولية المعاصرة التي تتشابك فيها العلاقات الدوليـــة بشكل لا يسمح باستخدام الشكل الثاني .

ومما لا شك فيه ان اخطر المناطق المحررة واكثرها حساسية هي المناطق المختارة لتأمين الارتباط الاداري الدائم مع دولة مجاورة . نظرا لان العصابات تكون مضطرة للدفاع عنها مهما كلف الامر . وتلجأ القوات المضادة عند مهاجمتها الى احد الاسلوبين التاليين :

١ ـ قطع طريق الامداد والتموين مع البلد المجاور بشكل يفقد المنطقة المحررة معظم اهميتها الاستراتيجية .

٢ ـ تدمير قوات العصابات الموجودة في المنطقة المحررة بعد قطع كل طرق الانسحاب نحو البلاد المجاورة المؤيدة للعصابات .

وهي تلجأ الى الاسلوب الثاني عندما تتمتع بالقوة الكافية لذلك . لان الاسلوب الاول (قطع الطريق فقط) يدفع العصابات الى التبعثر والقيام بعمليات الازعاج والتخريب التي قد تدوم سنوات طويلة وتدمر اقتصاد البلاد وتضعف قوتها العسكرية . كما يدفعها الى تشكيل قواعد جديدة ومناطق محررة جديدة .

والخلاصة : ان على العصابات ان تحسن اختيار المناطق المحررة الواسعة حسب معطيات العلم العقلانية لا بناء على الدوافع العاطفية التي قد ترتفع الى درجة تطغى بها على العقل . وان تفكر بطبيعة العدو وحالة التناقضات القائمة داخل معسكره ودرجة تفككه. وأن تأخذ واقع الجماهير بعين الاعتبار، وأن تهتم بقضايا الامداد والتموين مبتعدة قدر الامكان عن الارتباط التمويني عبر الحدود مع دولة صديقة . وان تضرب بجذورها وسط السكان المعدمين ، وتعدّهم وتؤهلهم للمعركة والانتاج . وان توسع المنطقة المحررة وتعتبرها منطلقا لمد ثوري جديد ،

ونقطة ارتكاز لعمليات واسعة النطاق . وان تخلق قوات كبيرة شبه نظامية قادرة على الدفاع عن النقاط التي لا بد من الدفاع عنها . وان تعمل كل ما في وسعها للحفاظ على المبادأة وحرية المناورة ، مع ابقاء جذوة الروح الهجومية التعرضية متقدة باستمرار .

في سبيل فهم الديموقراطية العسكرية بشكل أفضل

«حتى لا تبني الثورة في الجبل والمدينة قوة مسلحة غير ثورية» محاضرة القاها المؤلف في مدرسة الكوادر السياسية ـ العسكرية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، دورة عام ١٩٧٠ .

١ ـ مدخل .

تشكل القوة المسلحة في كل زمان ومكان أداة قمع اساسية بيد الطبقة الحاكمة ، فاذا كانت الطبقة الحاكمة اقلية مستغلة اخذت قواتها المسلحة دورا معاديا للجماهير التي تشكل غالبية الامة ، واصبحت عاملا من عوامل قهر هذه الجماهير . وعندما تنتقل السلطة الى يد الطبقات التي عاشت مضطهدة خلال عشرات القرون تصبح القوة المسلحة أداة قمع الاقلية المعادية للثورة والتطور ورفاهية الجماهير ، وأداة حماية لمصالح غالبية افراد الشعب الكادح .

وينعكس الدور الذي تلعبه القوات المسلحة انعكاسا بينا على العلاقات القائمة في داخلها ، فان كانت أداة بيد غالبية الشعب الكادح امكنها تطبيق الديموقراطية بين صفوفها ، واذا كانت أداة بيد قلة قليلة تعذر عليها ممارسة الديموقراطية ، واضطرت الى تبني علاقات داخلية مبنية على التمايز والقهر .

وهذا ما يجعل تطبيق الديموقراطية العسكرية مقياسا حقيقيا لطبيعة القوات المسلحة ، ودليلا اكيدا على مدى ارتباطها بالجماهير .

وتتسم القوات المسلحة الشعبية ، سواء كانت عصابات ام جيش ثوري ، بصفات اساسية اهمها انها قوة منبثقة من غالبية الشعب ، تعمل تحت قيادة طليعة بروليتارية ، وتتسلح بالافكار الماركسية — اللينينية ،وتشن حربا تحررية عادلة بالاعتماد على قوة الشعب وهذا ما يجعلها قادرة على تحطيم التقاليد العسكرية القديمة وتبنّي اسلوب ديموقراطي سليم يجعل القوة أداة بيد الشعب . خاصة وان العلاقات داخل القوات المسلحة هي امتداد عضوي للعلاقات السائدة في المجتمع . فاذا كان المجتمع اقطاعيا او رأسماليا ... الخ مبنيا على الاستغلال ، وكان فيه طبقتان واحدة مستغلة واخرى مستغلة وجدنا ان الطبقة المستغلة التي تتمتع بكل فرص الثروة والتعليم تجد مكانها داخل القوات المسلحة في مراتب الضباط ، على حين تأتي الطبقة المستغلة الجاهلة —غالباً— لتعمل كجنود او صف ضباط . وهكذا ينتقل «السيد» الذي يتحكم برقاب «المستضعفين» في الحياة المدنية ليصبح سيدا داخل الجيش التقليدي ، ويستخدم نفس اساليب القهر والاستبداد والاضطهاد التي تعود على استخدامها في الحياة المدنية لتأمين استتباب سلطته . اما العامل او الفلاح المستغل في الحياة المدنية حتى نخاع العظم ، فينضم الى مراتب الجيش الصغرى ، ليتابع رحلة البؤس ، في ظل علاقات تسلطية استبدادية تشبه العلاقات التي عاشها في الحقل او المصنع .

ويؤدي تخلص المجتمعات من تكوينها القديم ، وتحطيم العلاقات السابقة ، وبناء علاقات جديدة لا تعرف الاستغلال الى ظهور مجتمع جديد تسود فيه طبقة واسعة (الشعب الكادح) تعمل لصالح المجموع ، وتترابط فيما بينها بروابط المساواة .

وينتقل افراد هذه الطبقة الى القوات المسلحة حاملين معهم اسلوب العلاقات الجديد المبني على رفاهية الطبقة ، وتضامنها، ووحدة ارادتها ومصالحها ، وتعطشها لتطبيق الاساليب الديموقراطية .

يقول ماو «يحتاج الجيش الى الديموقراطية بقدر ما يحتاج الشعب اليها» (١) ، وما الديموقراطية العسكرية سوى تجسيد ملموس لمبدأ «المركزية الديموقراطية» داخل القوات المسلحة ، وهي تعني ان افراد القوات المسلحة يمارسون الديموقراطية تحت لواء قيادة مركزية تفهم المركزية بشكل ديموقراطي .

وليست فكرة الديمقراطية ابتداعا جديدا، فلقد ظهر فيالقوات المسلحةالثورية عدد من الاجراءات والنظم ذاتالطابع الديموقراطي قبل ان يظهر جيش الشعب بشكله الحالي الى الوجود، ولكنها بقيت ضمن حيز الاجراءات المحدودة المقيدة بظروف تاريخية متعددة ، ولم تتطور الا بشكل جزئي غير متكامل .

ثم جاءت الثورة الروسية وتلتها الثورة الصينية لتخلق نوعا من القوات المسلحة الحديثة الشعبية . وتمتاز هذه القوات بأنها اقامت علاقة جديدة بين الجيش والشعب تختلف عن العلاقات العدائية السائدة بين الجيش التقليدي والشعب منذ آلاف السنين ، خاصة وأن الجيش الجديد جزء من الشعب ، وخادم له ، واداة لتحقيق حريته . وهو يخدمه بحماس ، ويعتز بأبسط الامور التي تهم الجماهير، ولا يستغلها او ينهب ممتلكاتها او يدعي بأنه صاحب الفضل عليها لانه انجز انتصارات عسكرية باهرة . وهذا ما يخلق وحدة وتلاحما بين الجيش والشعب «وتشكل هذه الوحدة السامية بين الجيش والشعب جدارا

---

(١) ماوتسي تونغ «مختارات» ، المجلد الاول ، بكين ، ١٩٦٥ .

دفاعيا منيعا لا تستطيع اية قوة ان تنفذ منه» (١) .

فاذا اخذنا الصين كمثل علـــى تطبيق الديموقراطيـــة العسكرية ، وجدنا ان الجيش الشعبي الصيني قد رسَّـــخ الديموقراطية بين صفوفه حتى غدت اسلوب حياتـــه اليومية ، وأصبح يمارسها في العمل والتدريب والقتال. ولكنه لم يتوصل الى ذلك دونما صعوبات . فلقد وقف في وجه هذا التطبيـــق اصحاب التفكير البورجوازي بالشؤون العسكرية بالاضافة الـى كافة اصحاب الآراء والعادات القديمة . وكانت معارضة كـــل هؤلاء ناجمة عن خوفهم من الجماهير ، وعدم ثقتهم بقدراتهـــا الخلاقة العميقة .

٢ – جذور المسألة

ليست مسألة الديموقراطية العسكرية مسألـــة اسلوب ، ولكنها عبارة عن وجهة نظـــر مبدئية ، وموقف اساســـي . فهي الدليل الاكيد على احترام الجماهير والثقة بها . ويظـــن البعض ان توتر العلاقات داخل القوات المسلحة ، او بين القوات المسلحة والشعب ناجم عن الاساليب الخاطئة ، وهـــذا ظن لا اساس له من الصحة لان مسألة احترام الجنود والشعب عبارة عن موقف مبدئي تنبع منه كافة السياسات والوسائل . وكـــل انحراف في الموقف المبدئي ينعكس على شكل انحراف بالوسائل والسياسات .

ولقد اكد ماوتسي تونغ هذه الفكرة عندما ذكر المؤهـــلات الخمسة اللازمة لدعاة الثورة البروليتاريـــة ، وأصر على ان **من لا يؤمن بالجماهير ولا يعمل بأسلوب ديموقراطي صحيح ، لا**

---

(١) هولنغ ، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني «التقاليد الديموقراطية لجيش التحرير الشعبي الصيني» بكين ، ١٩٦٥ .

يستحق لقب ثوري . والحقيقة ان الحد الفاصل بين الثوري البروليتاري والثوري البورجوازي هي قدرة الاول على احترام الجماهير والثقة بها وفهم حقيقة دورها التاريخي ، بالاضافة الى ايمانه المطلق بالمبدأ القائل «يجب ان يكون تحرير الطبقة العاملة من مهمة الطبقة العاملة ذاتها» (١) ، اي ايمانه «بأن الحرب الثورية هي حرب الجماهير ولا يمكن شنها الا بتعبئة الجماهير والاعتماد عليها» (٢) وزجها في الصراع على شكل قوات مسلحة ثورية .

وتؤكد كافة التجارب الثورية على ان مثل هذه القوات المسلحة تستمد زخمها من زخم الجماهير ، ويتأثر اندفاعها الى حد بعيد بمدى تعبئة الجماهير واستعدادها للتضحيات . وأن ابتعاد القيادات في مرحلة من المراحل عن القواعد ، والنظر اليها باستعلاء واستخفاف ، ومعاملة جماهير الشعب العامل والجنود على انهم مجموعة من «الدهماء» ، يؤدي في نهاية المطاف الى انعزال هذه القيادات عن الجماهير ، وعجزها عن التعامل معها على مبدأ المساواة ، وخوفها من تطبيق الديموقراطية على مختلف اشكالها .

وينبثق عن المسألة المبدئية الاساسية مسألة اخرى هي «التعلم من الجماهير» التي يؤدي تجاهلها الى العجز عن الحصول على ابسط المعارف . فالقاعدة العريضة لجماهير الجنود وقادة الوحدات الصغرى من مختلف المراتب تشارك في المعارك بصورة فعلية مباشرة ، وتحتك مع حقائق القتال ودقائق الموقف الملموس بشكل يومي ، وهذا ما يجعلها قادرة على جمع الآراء والخبرات،

---

(١) ماركس وانجلز «مختارات» المجلد الثاني ، دار النشر باللغات الاجنبية ، موسكو ، ١٩٥٨ .

(٢) ماوتسي تونغ «مختارات» المجلد الاول ، بكين ، ١٩٦٥ .

وتنسيقها ، والعمل بها ، وتعميمها ، بغية مجابهة المشكلات بشكل موضوعي ، وابتكار الاساليب العملية الملائمة للمواقف المتبدلة . وهذا هو «الخط الجماهيري» الصحيح الذي يساعد على تحسين العمل وخوض المعارك بنجاح «وكل من لا يدرك هذه النقطة ، ولا يؤمن بحكمة الجماهير وقدرتها ، ويعتبر نفسه السلطة الاولى في العالم ، عاجز عن العمل بأسلوب ديموقراطي صحيح» (١) .

ولا يمكن تطبيق «الخط الجماهيري» الا عند سيادة الشعور الطبقي بين الكوادر والمقاتلين ، وعندما يتلاحم كل كادر مع الجماهير والمقاتلين ، ويفهمهم ، ويحبهم ، منطلقا من منطلقات الوحدة الطبقية . وعندما يمتد هذا الفهم حتى يشمل الاسرى من جنود العدو ، اذا ما ثبت انتماؤهم وولاؤهم الطبقيين ، لان هذا هو السبيل الوحيد لتطبيق سياسة اريبة حيال الاسرى بغية توعيتهم واستمالتهم ، والافادة من هذه النقطة كوسيلة من الوسائل المستخدمة لتفتيت قوات العدو المسلحة .

٣ ـ ميادين الديموقراطية العسكرية

تقتضي التقاليد الثورية ممارسة الديموقراطية العسكرية في ثلاثة ميادين رئيسية هي : الميدان السياسي ، والميدان الاقتصادي ، والميدان القتالي . ويستهدف العمل في هذه الميادين تنفيذ حركة ديموقراطية في ظل قيادة مركزية لتحقيق ثلاثة اهداف رئيسية هي : «درجة رفيعة من الوحدة السياسية، وتحسين ظروف المعيشة ، ومستوى رفيع في التقنية والتكتيك العسكريين» (٢) .

أ ـ الميدان السياسي : تستهدف الديموقراطية العسكرية

---

(١) هولنغ ، المرجع السابق .

(٢) ماوتسي تونغ «كتابات عسكرية» دار ابن سينا ، بيروت ، سنة ١٩٦٧ .

في هذا المجال تحقيق الوحدة الفكرية والسياسية داخل القوات المسلحة نفسها ، والوحدة بين الجيش والشعب .

ولقد توصل الجيش الشعبي الصيني الى الوحدة الداخلية عن طريق استخدام «التحققات الثلاثة» (١) و«التصويبات الثلاثة» (٢) . كما توصل الى تحقيق الوحدة بين الجيش والشعب عن طريق «قواعد النظام الثلاث» (٣) و«نقاط الاهتمام الثماني» (٤) التي تحدد علاقة افراد القوات المسلحة مع جماهير الشعب ، وأساليب مخاطبتها والتعامل اليومي معها . وجاءت الثورة الفيتنامية والكوبية والكورية لتضع تعليمات مشابهة تستهدف تخفيف نقاط الاحتكاك بين المقاتلين وافراد الشعب الى الحد الادنى . وكان من جراء ذلك ان تبدلت نظرة الشعب القديمة الى الجيش تبدلا جذريا ، وأخذ ابناء الفلاحين وسكان المدن الفقراء

---

(١) «التحققات الثلاثة» هي في الحزب : ١ـ الانتماء الطبقي ٢ـ والايديولوجية ٣ـ واسلوب العمل ، وفي القوات المسلحة : ١ـ الانتماء الطبقي ، ٢ـ وانجاز العمل ، ٣ـ وارادة القتال .

(٢) «التصويبات الثلاثة» : ١ـ توطيد التنظيم ، ٢ـ تعزيز التثقيف الايديولوجي ، ٣ـ تحسين اسلوب العمل .

(٣) «قواعد النظام الثلاث» هي : ١ـ اطع الاوامر في جميع افعالك ، ٢ـ لا تأخذ ابرة او خيطا من الجماهير ، ٣ـ سلم كل شيء تستولي عليه من العدو .

(٤) «نقاط الاهتمام الثماني» هي : ١ـ تحدث بأدب ، ٢ـ ادفع ثمنا عادلا لما تشتريه ، ٣ـ اعد كل ما تستعيره ، ٤ـ ادفع تعويضا عما تتلفه ، ٥ـ لا تضرب الناس او تشتمهم ، ٦ـ لا تتلف المحاصيل ، ٧ـ لا ترفع الكلفة بلا مبرر مع النساء ، ٨ـ لا تسء معاملة الاسرى .

يتنافسون في الانضمام الى الجيش الثوري الجديد . وتوصلت التوعية السياسية الى افضل النتائج نظرا لتركيزها على وحدة الطبقة ، وعمل المقاتلين والقادة معا لصالح الشعب كله ، ولصالح المسحوقين في العالم اجمعلا لصالح حفنة صغيرة من المستغلين. وصارت كافة القضايا اليومية المألوفة تعالج المسائل تتعلق بالمبدأ السياسي ، وهذا ما يعطيها صورة جديدة موحدة . ويساعد على حلها بشكل جماعي .

ب ــ الميدان الاقتصادي : تعتبر الديموقراطية الاقتصادية والاهتمام برفاهية المقاتلين ، ومشاركة المقاتلين والمسؤولين في السراء والضراء مبدأ اساسيا لتحقيق الوحدة الداخلية في الحياة اليومية ، ونقطة انطلاق لتوحيد الجماهير وتنمية مبادرتها .

ومن المعروف ان الجنود يخضعون في القوات المسلحة المبنية علىالاسس القديمة الىقهر سياسي واستغلال اقتصادي، وهم يعيشون حياة تقل بكثير عن مستوى حياة ضباطهم ، مع انهم يتعرضون لمشاق مادية ومعنوية اكبر ، خلال التدريب والقتال .

ويمكن تجسيد الديموقراطية في الميدان الاقتصادي بتحسين معيشة المقاتلين ، وفحص الحسابات بمعرفة الجميع ، وتشكيل لجان خاصة للاشراف على المطابخ والمطاعم ، والتوصل الى وسيلة تؤمن مشاركة المسؤول والمقاتلين في السراء والضراء، رغم معارضة القادة ذوي النزعات البيروقراطية الذين لا يؤمنون بضرورة الاهتمام بمثل هذه الامور ، ويعتبرونها «تفاهات» لا تقدم ولا تؤخر ، متناسين ان عدم الاهتمام باحتياجات المقاتلين يبعدهم عن الارتباط بالقيادة ، وأن اكتساب جماهير المقاتلين ودفعها لتكريس طاقتها للقتال يتطلب من القيادة «ان تكون معها، وتثير حماسها ومبادرتها ، وتهتم برفاهها ، وتعمل بجد واخلاص لمصلحتها » .

ويؤدي اشتراك القادة والمقاتلين في المأكل والمعيشة والعمل والتدريب والراحة الى تنمية روح الكفاح ونكران الذات، والعمل الدؤوب لتحقيق الهدف المشترك ، ويساعد المقاتلين على فهم المبادىء الثورية مثل : «لمن قامت الثورة ؟» و«لمصلحة من نقاتل ؟» . وليس اخطر على وحدة القوات المسلحة الثورية وتماسكها من وجود قادة يعيشون حياة مرفهة ، ويتمتعون بشتى الامتيازات ، بشكل يعرضهم الى مختلف الاغراءات والتطلعات والانحرافات ، ويجعل غالبية المقاتلين تعتبرهم اناسا منتفعين ، يستفيدون من الثورة ، ويستغلون النضال في سبيل مصالحهم الشخصية .

جـ ـ الميدان القتالي : ان ممارسة الديموقراطية العسكرية في هذا الميدان خطوة هامة لرفع مستوى العمليات الحربية، والاعداد التقني ، واحراز الانتصارات، واظهار مواهب المقاتلين الاكفاء . وهي تسمح للقادة بتدريب المقاتلين ، كما تسمح للمقاتلين بتدريب بعضهم وتدريب قادتهم ايضا . وتتم ممارسة الديموقراطية عادة عن طريق عقد اجتماعات يتم فيها تبادل الآراء ، وعرض المصاعب ، ودراسة الوسائل والاساليب اللازمة لتجاوزها .

ولا تختلف الآراء حول عقد الاجتماعات الخاصة بالتدريب، ولا تتعرض مثل هذه الاجتماعات الى اية صعوبة . وهي تتم قبل التدريب لمناقشة البرامج والدروس والتمارين العملية، والتحقق من امكانية تطبيقها وقدرتها على تحقيق الهدف المنشود . كما تتم بعد التدريب لتقييم النتائج ، ووضع اسس العمل المشترك المقبل لتأمين التعليم المتبادل ، ومساعدة المتخلفين او الاغرار .

اما بالنسبة للاجتماعات الخاصة بالقتال والعمليات الحربية ، فقد اختلف المنظّرون الثوريون حولها . وهناك رأيان اساسيان متعارضان في هذا الصدد ، ويقول اولهما : «على الفرق الموجودة في الجبهة ان تعقد في اوقات القتال اجتماعات

كبرى وصغرى من مختلف الانواع . وحسب توجيه قيادة الفرقة ينبغي حث الجنود على بحث كيفية مهاجمة مراكز العدو والاستيلاء عليها ، وكيفية انجاز واجبات القتال الاخرى : فاذا ما استغرق القتال عدة ايام توجب عقد عدة اجتماعات مماثلة» (١) . ولقد طُبِّق هذا الرأي مع كثير من المبالغات، ونجم الخطأ عن تنفيذ النص بصورة حرفية دون البحث عن الحكمة الكامنة وراءه والتي دفعتالى وضعه وهي«رفع مستوى القتال»، وأدى تراكم الاخطاء وما نجم عنها من كوارث حربية الى ظهور رأي ثان يهاجم مجالس المقاتلين في قلب العصابات الثائرة ويعتبرها «كالبرلمان بالنسبة للديموقراطية الاشتراكية ، وكالفن المتقرب من الشعب بالنسبة للفن الشعبي»(٢) . ولكن هذا الرأي ينفي عقد الاجتماعات على ان تكون لهدف محدود جدا «ومن الطبيعي انه يجب تشجيع وتطوير اجتماعات المناقشة السياسية والعقائدية بين المقاتلين ، ولكن القرارات هي من شأن قيادة يُفترض ان يكون لديها تقدير واضح وصحيح في المجالين العسكري والانضباطي . اما اقتراح عقد اجتماع للمقاتلين في كل مناسبة فان ذلك يدفعهم الى فقدان الثقة بالقيادة ، وفي النهاية بانفسهم . فهذه الاجتماعات تفكك الانضباط الواعي ، وتحرك الخلافات والانقسامات في قلب الفرقة ، وتضحي بقدر كبير من فاعليتها . وفي الكتابات عن الحرب الاسبانية اشارات الى الكيفية التي كان المقاتلون الجمهوريون يناقشون فيها احيانا اوامر الضباط وسط المعركة . فيرفضون مهاجمة هذا الموقع او

---

(١) ماوتسي تونغ «كتابات عسكرية» .

(٢) ريجيس دوبريه «ثورة في الثورة» ص ١٣١ ، دار الآداب، بيروت .

ذاك ، او الانكفاء في وقت معين ، ويعقدون الاجتماعات لاختيار التكتيك الذي ينبغي اتباعه بينما العدو يطلق النار ، اما النتائج فمعروفة .... وفي كوبا ادى الاستعمال العابر لهذا الاسلوب في بداية الحرب الى زرع التشويش والانشقاق في قلب العصابات الثائرة » (١) .

وتدل التجربة العملية المدروسة بعمق ، على ان من الممكن عقد الاجتماعـــات قبل المعركة **عندما يسمح الوقت وبعد العدو بذلك** . وتكون الغاية من هذه الاجتماعات مناقشة واجبـــات القتال وخططه . وتقديم الآراء وابتكار الوسائل والاساليب لحل المشكلات التقنية والتكتيكية التي تعرقل تنفيذ المهمة . ولا بـد ان يضع المجتمعون نصب اعينهـــم **فكرة ضرورة تنفيذ المهمة** ، وأن تسيطر عليهم الروح الايجابية الدافعة التي تبذل كل ما في وسعها لايجاد الحلول وتنفيذ المهمة بشكل افضل .

وهذا يعني ان تكرّس هـــذه الاجتماعات **لدراسة افضل السبل لتنفيذ المهمات المطلوبة ، دون مناقشة المهمات نفسها او اقرار صلاحيتها ، الا اذا طلب منهم ذلك ، وكان الوقت يسمح باجراء المناقشة ، ونقل النتائج الى القيادة ، واستلام اوامـــر جديدة تؤكد الاوامر السابقة او تعدّلها** .

اما الاجتماعات التي تعقد بعد المعركة فهي تستهدف «تقييم العمل» ومناقشة التشكيلات والتحركات والارتباطات وحـــالات البسالة، او التخاذل وتلخيص التجربة العملية بشكل يساعد على رفع المستوى القتالي بعد كل معركة .

٤ ــ الوعي السياسي

لا يمكن للحركة الديموقراطية ان تنمو الا في ظل وعـــي

---

(١) ريجيس دوبريه ، المرجع نفسه .

سياسي عميق . ولا بد من اجراء التوعية السياسية والتربية الايديولوجيةونشر الوعي الطبقي قبل البدء بممارسةالديموقراطية العسكرية . ولقد دلت التجربة على ان تطبيق الديموقراطية قبل امتلاك وعي سياسي كامل يؤدي الى تفتت وحدة القوة المسلحة، وضعف انضباطها ، وتدني قدرتها على القتال .

والوعي السياسي شرط لازم اساسي كيما يفهم المقاتلون بأن تنفيذ المهمة وتقديم الروح رخيصة خلال ذلك ، هو تنفيذ طوعي لخدمة هدف مشترك، وأن المناقشة واستطلاعالآراء لا تستهدف **سوى دفع تنفيذ المهمة الى إمام** . والوعي ضروري للقادة حتى يعرفوا بأن وجودهم في مركز القيادة والمسؤولية لا يعني التمتع بامتيازات من اي نوع ، ولكنه يعني مزيدا من الجهد والعبء ، ومزيدا من تحمل المسؤوليات ، ومزيدا من التعرض للنقد «أن الجميع يتعرضون للحرمانات ذاتها . فكل واحد من قائد الجيش الى الطاهي ينال بالاضافة الى وجبته من الارز خمسة سنتات بالضبط كل يوم .... لهذا لا يتهامس الجنود ضد احد » (١) .

والوعي السياسي ضروري لفهم معنى النقد والنقد الذاتي، واعتباره وسيلة من وسائل البناء لا الهدم ، وتقبله بلا حرج او حقد او رغبة بالانتقام ، والنظر اليه كوسيلة اساسية لاكتشاف مقدرة الجماهير الخلاقة ، ورفع احساسها بالمسؤولية الى الحد الاقصى ، ودفعها الى المشاركة في عرض المشكلات ، وانتقاد التقصير ، وايجاد الحلول بشكل يزيد تلاحم القادة مع المقاتلين ، ويرفع الكفاءة القتالية عند الجميع . والحقيقة ان الماركسيين ــ اللينينيين الواعين لا يخافون النقد والنقد الذاتي،

---

(١) ماوتسي تونغ «كتابات عسكرية» ص ٣٣ .

وينظرون اليه كوسيلة لتدعيم الصفوف «فبتحليل خطأ الأمس يمكننا ان نتعلم تجنب اخطاء اليوم والغد» (١) و « حزب البروليتاريا الثورية قوي بالقدر الكافي الذي يمكنه من نقد نفسه والاعتراف بدون خوف بخطئه ونقاط ضعفه» (٢) .

ان المسائل العسكرية والسياسية مترابطة بشكل وثيق ، ولا يمكن فصل احداها عن الاخرى ، ولا تنبثق الاسس والمبادىء العسكرية الثورية البروليتارية الا عن سياسة ثورية بروليتارية. ولا يمكن تطبيق الديموقراطية العسكرية الا اذا ساء الوعي السياسي الثوري البروليتاري داخل التنظيم كله . وهذا ما يجعلنا نؤكد على انه **لا يمكن اقامة الديموقراطية في الميادين الثلاثة (السياسي والاقتصادي والقتالي) الا على اساس التوعية السياسية والايديولوجية التي يكون الوعي الطبقي نواة لها .** وكل محاولة لتجاوز هذه الحقيقة ، وتطبيق الديموقراطية قبل امتلاك الوعي السياسي عبارة عن محاولة عرجاء ، «وتقليد محضي » مقطوع الجذور .

٥ ــ الديموقراطية والانضباط :

كان الانضباط في القوات المسلحة القديمة أداة اساسية «للحد من شراسة الجنود وتوحشهم» ، وتأمين تلاحم القطعة بشكل يجعلها كآلة دقيقة تعمل بعقلية ورغبة فرد واحد ، دون ان يكون لافراد الآلة اي حق في ابداء الرأي او المشاركة في وضع الخطة . وكان الرأي السائد هو سيادة الانضباط المبني على العنف والخوف والعقاب . وبقي هذا الرأي المنبثق من التكوين الطبقي داخل المجتمع والجيش سائدا خلال عصور

---

(١) لينين «المؤلفات الكاملة» الجزء ٢٦ ، موسكو .

(٢) لينين «المؤلفات الكاملة» الجزء ٢١ ، موسكو .

طويلة ، حتى جاء تطور العلاقات الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمعات الحديثة لينعكس على العلاقات داخل القوات المسلحة.

وقام الكثيرون بانتقاد «الانضباط الدراكوني» القديم الذي لا يتلاءم مع طبيعة الانسان المعاصر وتكوينه ، وارتفع صوت أردان دوبيك الذي يعارض «ان يشعر الافراد على مختلف درجات السلم العسكري حتى نصل الى الجنود العاديين بأن هناك سلطة واحدة ذات منعة ، سلطة واحدة معصومة من الخطأ محصنة ضد النقد»(١) . ويعتقد بأن رغبة القائد بفرض مثل هذا الشعور يعني الهبوط بمستوى المنفذين الى مستوى القصور الذاتي ، ويفقدهم ثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على الابداع ويجعلهم لا يحسنون التوجه عند اختفاء القائد لسبب من الاسباب . ولكن حركة تعديل الاوضاع الانضباطية بقيت محدودة اصلاحية لا تخرج عن نطاق العلاقات الاجتماعية السائدة المبنية على استغلال الاقلية المتميزة للاكثرية المسحوقة ، رغم محاولتها لتخفيف الظروف الحياتية لهذه الاكثرية المسحوقة بغية دفعها للعمل بشكل افضل ، والافادة من مواهبها ضمن حدود الامكان . وبقي الانضباط المفروض على القطعات قسريا فوقيا لا يقبل الجدل ، رغم مظهره المخفف الخالي من العنف والقسوة والاهانة التي كانت سائدة من قبل . ولم يظهر الانضباط الطوعي المبني على الاقناع ، والفهم المتبادل ، والتلاحم الطبقي ، ووحدة الهدف الا مع ظهور القوات المسلحة الثورية البروليتارية التي يسود في داخلها «اتفاق كامل في الرأي مع اختلاف في المراتب لتأمين

---

(١) ذكرها كتاب «رواد الاستراتيجية الحديثة» الجزء الاول ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥ .

متطلبات العمل» (١) . وهكذا سادت الروح الرفاقية بين القادة والمقاتلين وروح النظام الاختياري النابع من الوعي ، وغدت علامة تميز الجيش العامل لخدمة اهداف غالبية الشعب (جيش الشعب) عن الجيش العامل لصالح حفنة وطنية صغيرة مستغلة (جيش القمع) او حفنة استعمارية غازية (جيش العدوان) .

وهنا لا بد لنا من وقفة امام مسألة الديموقراطية والانضباط ، فالديموقراطية الصحيحة لا تعني زوال السلطة وانعدام الانضباط وعدم تنفيذ الاوامر. وتؤكد التقاليد العسكرية لكافة الجيوش الشعبية ضرورة التمسك بأهداب الانضباط والنظام والحرص على تنفيذ اوامر القيادات . وسألجأ في هذه النقطة الى ذكر بعض الاستشهادات الضرورية لتبديد كثير من الاوهام الخاطئة حول مفهوم الانضباط في الديموقراطية العسكرية .

يقول جياب «يمارس الجيش الشعبي الفيتنامي **نظاما** صارما مع **ديموقراطية** داخلية واسعة» ... «يجب على المقاتل ان ينفذ اوامر رؤسائه ، وعليه ان يلقي بنفسه جسدا وروحا في سبيل الانجاز السريع والحازم للمهمات الموكولة اليه» (٢) ... «هل حرب العصابات لا تتطلب النظام الصارم ؟ طبعا لا . ولا بد من اعطاء حرية المبادرة ، ثم الوصول في النهاية الى القيادة المركزية في مرحلة معينة... ولا يتعارض النظام مع الديموقراطية الداخلية ، ففي داخل الوحدات ديموقراطية ، وكلما زاد احترام

---

(١) جياب «حرب المقاومة الشعبية» ص ١٢٠ ، دار الآداب ، بيروت .

(٢) جياب ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

الديموقراطية على مبدأ المركزية الديموقراطية كلما ازدادت وحدة الجيش ، وساد النظام ، ونُفِّذت الاوامر ، وزادت قدرة الجيش القتالية» (١) ... «وتنفيذ الاوامر حتمي والزامي كما تنص على ذلك عهود الشرف العشرة» (٢) .

وتقول التعليمات التي اعطاها هوشي مينه في المؤتمر المعقود لدراسة حملة هونغ فونغ الثانية ما يلي :

١ ــ المحافظة على النظام والنقد من الاسفل الى الاعلى وبالعكس .

٢ ــ تنفيذ الاوامر الصادرة من الاعلى بحزم «اياكم ان تسيئوا فهم الديموقراطية عندما لا يكون قد أخذ القرار بعد ، فلنا مطلق الحرية في ان نناقش . ولكن عندما يؤخذ القرار يجب ان لا يستمر النقاش . واي نقاش يبرز بعد ذلك يركز فقط على الطرق والاساليب التي ينفذ بها القرار سريعا . ولا يجوز الاقتراح الا حول كيفية تنفيذ القرار . يجب علينا ان نمنع اي تصرف مثل هذا نابع من حرية غير منضبطة» (٣) .

فاذا ما انتقلنا من الثورة الفيتنامية الى الجيش السوفييتي الذي سار بخطى عملاقة على طريق التحول منذ تأسيس الجيش الاحمر حتى اليوم ، وجدنا سوكولوفسكي يقول : «ولتحقيق فاعلية تنظيم القوات المسلحة السوفييتية لا تعتبر الاوامر وتعليمات القادة محلا للنقد» (٤) . ولا تخرج التجربة الصينية

---

(١) جياب ، المرجع السابق ، ص ٥٦ .
(٢) جياب ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ .
(٣) هوشي مينه «مختارات» ص ٣١١ ــ ٣١٢ .
(٤) سوكولوفسكي وآخرون ، المرجع السابق ، ص ٥٥٤ .

عن هذا المجال اذ تقول اول قاعدة من «قواعد النظام الثلاث» ما يلي «اطع الاوامر في جميع افعالك» (١) . ولقد تعمدت اختيار الاستشهادات من مختلف التجارب الثورية حرصا مني على تأكيد ضرورة مراعاة النظام والانضباط واطاعة الاوامر ، لما في تجاهل هذه النقطة الهامة من نتائج وآثار «كارثوية» على وحدة القوات الثورية وقدرتها القتالية . فالنظام والانضباط وطاعة الاوامر لا تختلف باختلاف الجيوش ، ويكمن الاختلاف الوحيد في ان الطاعة في جيوش القمع قسرية آلية مبنية على الخشية او العادة ، على حين انها في جيش الشعب طوعية واعية مبنية على وحدة الطبقة ووحدة المصلحة .

٥ ـ الديموقراطية ودعم النظام :

ان غاية الديموقراطية هي دعم النظام وتقوية فاعلية القتال، والدليل على تصورها الصحيح هو اثارة الجماهير وتعزيز القيادة المركزية . ويتم الوصول الى ذلك عن طريق تطبيق الديموقراطية بشكل صحيح لا مبالغات فيه تحت اشراف القيادة . وتثبت التجربة انه لا مجال للخوف من ان تؤدي ممارسة الديموقراطية العسكرية الى اضعاف النظام او اعاقة عمل القيادة بشكل يضيع الفرص الملائمة للقتال .

ونحن نعرف ان الحرب صراع حياة او موت ضد ضعفنا وضد اعمال العدو . وهي تتطلب عملا منظما دقيقا ، وقيادة قوية السلطة قادرة على اتخاذ القرارات بسرعة في الوقت المناسب ، اي انها تتطلب حدا كبيرا من المركزية . فكيف يمكننا تطبيق الديموقراطية خلال القتال ؟ والرد على ذلك ان تطبيق

---

(١) هولنغ ، المرجع السابق .

الديموقراطية يزيد التفاهم والثقةبين المستويات العليا والمستويات الصغرى ، وبين المسؤول والمقاتلين ، وهـــذا ما يبدد المخاوف والشكوك ، ويجعل المسؤول قادرا على اصدار الاوامر بثقـــة اكبر . ويقوم المقاتلون بتنفيذ هذه الاوامر واطاعتها عن وعي تام لما يفعلونه . كما ان دراسة الخطط بصورة ديموقراطية وتعديلها، وفهم كل مقاتل لمكانه ودوره بكل وضوح خلال العملية كلها يدفع المقاتلين الى اظهار بداهتهم ودعم وحدتهم وتنسيق اعمالهم فـي المعركة بصورة واعية ، ويجعلهم قادرين على التصرف بشكـــل صحيح او استلام القيادة اذا ما قتـــل المسؤول ونائبه او جرحـا .

ولا تسبب المناقشات وسبر الآراء اضاعة الوقت او اثارة الاختلافات ، ولكنها تتيح على العكس تفاهما افضل ، وتدعـــم الوحدة ، وتبلور ارادة الشعب ، وتوحد العمل على كافـــة المستويات حتى يتم انجاز المهمات بشكل احسن . ولكن هذا كله لا يعني تخفيف مسؤولية الكوادر ، ودفع هذه الكوادر الى عمل ما تريده الاكثرية ، والاختفاء خلف آراء القواعد ، والتخلي عـن القيادة والمركزية . ولا تقتصر مهمة الكوادر على السير بسلبيـة وراء التيار دون تحليل آراء الجماهير او التمييز بين المقترحات، ولكن عليها ان تعمل بشكل خلاّق يتناسب مع دورها «كممثلـة للحزب والشعب وتقوم بتنفيذ ارادتهما وتحقيق سياسة الحزب داخل القوات المسلحة» (١) كما يتناسب مع مسؤوليتها عـــن الحالة السياسية والمعنوية والانضباطية والقتالية داخل القـــوة المسلحة المكلفة بقيادتها . ويتجسد عملها الخلاّق بفهم الموقـف الملموس ، واجراء الدراسة والبحث بصورة ديموقراطية ، ثـــم اتخاذ القرارات ومتابعتها باصرار وحزم . وتحمل المسؤوليات

---

(١) ماوتسي تونغ «مختارات» المجلد الاول ، بكين ، ١٩٦٥ .

خلال التنفيذ والاستعداد للمراجعة والنقد عندما تسنح الظروف بذلك . والقرار السليم هو القرار الذي يساعد على دفع العمل **الى امام ويكون سندا لتنفيذ المهمة** . ويتـــم التمييز بـــين الديموقراطية العسكرية الصحيحة والخاطئة بناء على الاتجـــاه العام الذي ينجم عن تطبيقها ، **فاذا ما زادت الوحدة الداخلية ، ودفعت تنفيذ المهمات الى امام بمزيد من الاصرار والفاعليـــة والبداهة كانت صحيحة ، واذا كانت عامـــلا على التقاعس والتراخي كانت خاطئة ومبنية على فهم سيء لحقائق الامور .**

٧ ـ سيطرة الحزب :

ان الضمان الاساسي لممارسة الديموقراطية بشكل ثابت ، واتباع الخط الجماهيري في القوات المسلحة هو التمسك بنظام توزيع المسؤولية داخل القيادة تحت اشراف القيادة الجماعيـــة للحـــزب .

ويتم الفصل في جميع المسائل الكبرى بعد مناقشتها في لجنة الحزب الا في حالة الطوارىء حيث يتعين على المسؤولـــين العسكريين اتخاذ قرارات سريعة لمعالجة حالـــة طارئة مفاجئة ، على ان تكون هذه القرارات على مسؤوليـــة من يتخذها ، وأن تخضع للمناقشة والنقد بعد زوال الحالة الطارئة ، او عندمـــا يغدو ذلك ممكنا .

وتساعد المناقشات الهادفة وسيطرة الحـــزب على ابراز العوامل الايجابية ، وحشد تجربة الجماهير وحكمتها ، ومنع اي فرد من احتكار جميع اوجه النشاط واتخاذ قرارات تتعلـــق بالمشكلات الهامة بمفرده . ومع هذا يستطيع المسؤول المختص ان يلعب دوره الكامل ويتخذ قرارات عاجلة على مسؤوليته خلال ممارسة سلطته اثناء القتال ، على ان يخضع عمله فيما بعـــد

لمراقبة الحزب ونقده وان تخضع قراراته للتعديل عند اللزوم وعندما تسمح ضرورات القتال بذلك .

ومن المعروف ان النزعة الفردية والروح الاستبدادية والطموحات المريضة ، والاتجاهات العسكرية القديمة تكمن دائما وراء التذمر من سيطرة الحزب ، ووراء كافة الحجج القائلة بأن هذه السيطرة تسيء الى الانضباط والفاعلية القتالية. ويتجاهل المعارضون لسيطرة الحزب ان زعامة الحزب على القوة المسلحة تعني تكريس القيادة الجماعية الموحدة على جميع المستويات ، وتمنع اي تحكم فردي يؤدي في النهاية الى انحرافات بورجوازية صغيرة . كما يتجاهلون بأن التمسك بالنظام الخاص بتوزيع المسؤولية بين القادة في ظل «مجالس الجنود» وتحت زعامة «لجان الحزب» هو الضمانة الاساسية لممارسة الديموقراطية داخل القوات المسلحة ، ولاتباع الخط الجماهيري الصحيح .

الانحرافات عند تطبيق الديموقراطية :

يؤدي عدم تجذير الوعي السياسي ، او سوء فهم الديموقراطية العسكرية بكل ابعادها ، او وجود ميول فردية وروح تحكمية لدى القادة الى ارتكاب اخطاء فاحشة ، والتعرض لانحرافات خطرة . وأهم هذه الانحرافات ما يلي :

١ ــ التطرف : اي المناداة بالديموقراطية المتطرفة الى ابعد مدى و«بحث المسائل على المستويات الدنيا قبل قرار المستويات العليا» (١) ، واستخدام الصعوبات كذريعة في اهمال كتابة التقارير ، وتجاهل التنسيق في القتال ، وتنفيذ الاوامر بشكل غير محكم ، وتخفيف المركزية . وينجم هذا الانحراف عن فكر

---

(١) ماوتسي تونغ «كتابات عسكرية» .

فوضوي غير بروليتاري .

٢ ـ التقاعس : اي استغلال الديموقراطية والمناقشات واستطلاع الآراء لتخفيف الجهود ، وبذل الحد الادنى من العمل والتضحية، **وجر القطعة المقاتلة الى وراء بدلا من دفعها الى امام.** وينجم هذا الانحراف عن عقلية متخاذلة تشاؤمية .

٣ ـ التحجّر : اي الاستفادة من الاخطاء التي يرتكبها اعداء الديموقراطية ومستغلوها من المتقاعسين او الفوضويين ، والاستناد الى المظاهر لمهاجمة المبدأ نفسه وتجريحه واسقاطه ، والعودة بالقوات المسلحة الثورية الى النظام القديم والانضباط السابق ، والمركزية المطلقة بحجة دعم وحدة القوات ورفع مستوى فاعليتها . وينجم هذا الانحراف عن عقلية عسكرية لا تؤمن الا بالتقاليد والاساليب المعهودة ، او عن عقلية بورجوازية لم تستطع التخلي عن نظرتها الاستعلائية بالنسبة للجماهير وتجربتها وامكاناتها .

والوعي السياسي ـكما ذكرناـ هو السلاح الاول للنضال ضد هذه الميول الخاطئة والانحرافات على مختلف انواعها . كما ان فهم العلاقة بين المركزية والديموقراطية وضرورة التوازن بينهما امر اساسي لرؤية كافة جوانب المسألة وتقييم حقيقة الانحراف بشكل اوضح . علما بأن هذا التوازن يخضع لعوامل كثيرة متباينة كطبيعة المرحلة ، ونوع القتال الذي تمارسه القوات الثورية ، وامتداد حقل المعركة ، وسيادة ظروف السرية او العلنية ، وامكانات القادة ودرجة اعدادهم ، وقدرة وسائل الاتصال والارتباط المتوفرة ... الخ فقد تسود الديموقراطية ويرتفع مستوى اللامركزية في العمل السري ، او عند انتشار القوات بشكل كبير ، او في حالة تجذير الوعي السياسي .. الخ على حين تفرض المركزية وجودها ، وتنخفض الديموقراطية الى

الحد الادنى عند عدم توفر الوعي الكافي ، او في المنعطفات التاريخية الكبرى ، او عندما تتأزم الامور وتصبح القيادة بحاجة لمركزية شديدة .

ويقدم لنا تروتسكي في خطاب يوم ٢١ ابريل (نيسان) ١٩١٨ صورة للاسلوب الذي تلجأ اليه الثورة عندما تجد نفسها محاطة بالاعداء ، ومعرضة للمخاطر . ويقول تروتسكي في خطابه الذي القاه وسط خضم الحرب الاهلية الطاحنة : «ويجب فرض الانضباط بالقوة والارغام، بل وحتى عند الضرورة بتوقيع الجزاء بالاعدام لافعال الجبن والفرار والجرائم العسكرية الاخرى ، ولا تتطلب الثورة توافر الانضباط في الجيش فحسب ، ولكنها تعمل على تحقيقه ، فليس من الممكن ان تتولى امور الجيش هيئات او لجان ، ولا ان ينتخب الجنود ضباطهم . بل يجب ان يكون الجيش في قبضة قوية تمثل السلطة العسكرية» (١) .

ولكن مثل هذا الامر يبقى في حالة سيطرة الحزب البروليتاري الثوري تصرفا **مؤقتا مرحليا** ، ريثما يرتفع مستوى الوعي ، او تنتهي فترة الازمة، او تجتاز الثورة المنعطف التاريخي بسلام . عندها تعود الامور الى نصابها وتتناقص حدة المركزية، ويرتفع سهم الديموقراطية من جديد .

***

ان الديموقراطية العسكرية مسألة مبدئية، وخط جماهيري، وانعكاس لمبدأ المركزية الديموقراطية في الحزب ، اي لمبدأ «الديموقراطية الداخلية والنظام الحديدي» . ولا يمكن اعتبار

---

(١) تروتسكي ، ذكرها كتاب «رواد الاستراتيجية الحديثة» الجزء ٣ ، ص ٢٩٣ – ٢٩٤ .

الديموقراطية العسكرية تدبيرا مؤقتا مرتبطا بحالة العصابات او القوات الثورية ، وحجمها ، وأساليب قتالها . فهي على العكس تدبير دائم ، يمتد حتى يشمل الجيش الثوري العصري الـذي ينبثق عن العصابات ، ويستخدم احـــدث الاساليب القتالية ، وأرفع المعدات التكنولوجية .

ومن الخطأ اعتبار المعدات العسكرية الحديثة معدات معقدة للغاية يصعب على المقاتلين فهمها او تطوير استخدامها، والتوصل الى استنتاج ينادي بتحديد الديموقراطية في القيادة والتدريب، والاعتماد على المحترفين والفنيين وأساليبهم التقليدية المركزية ، لان الديموقراطية ـاي مشاركة جماهير المقاتلين في القيـــادة والتخطيط وتقديم الافكار وتطوير الاساليب ـ هي مصدر مـن مصادر التطوير الخلاّق ، وسبيل لاستخدام عبقرية الشعب كله في الصراع ضد العدوين القومي والطبقي ، وضمانة اكيدة تمنع انقلاب القوات المسلحة الثورية الى قوة مضادة للثورة .

قتال العصابات ضد الدبابات في المدن

«لا يمكن ان يؤدي الدفاع الى نتائج جيدة الا اذا كان فعالا . ولا بد لكل من يخطط الدفاع وينشر القوات ، ويعد الحواجز والمتاريس ان يفكر بامكانية بل وبضرورة تسديد ضربات حاسمة مفاجئة » .

(توخاتشيفسكي)

الدبابة سلاح فعّال يتمتع بقدرة نارية عالية ، وقدرة حركية جيدة، بالاضافة الى الحماية التي يؤمنها الدرع للسدنة. وهي تعمل في الهجوم كمدفعية متحركة لدعم المشاة ، او كقوة ضاربة مجمعة تتحرك المشاة الالية معها لتكون عينا لها تكشف لها الاخطار وتساعدها على تنظيف اعشاش المقاومة .

وبالرغم من قوة الدبابة وفاعليتها الهجومية والدفاعية فان فيها نقاط ضعف قاتلة كنقص الرؤية على المسافات القريبة ، وعدم القدرة على الحركة في المناطق الوعرة او المشجرة او المبنية ، وتعذر استخدام مدفع الدبابة او رشاشها ضد جنود الاقتحام الفدائيين الذين ينقضون على الدبابات من مسافات قريبة، ويستخدمون ضدها القنابل المحرقةاو زجاجات مولوتوف

او حزم المتفجرات او القنابل اليدوية المضادة للدبابات .

وتحقق الدبابات في الاراضي المكشوفة المنبسطة نتائج حاسمة ضد المشاة ، بيد ان انتفاضة هامبورغ ، وتجربة الحرب العالمية الثانية ، ومعارك كوريا ، والنضال الدائر في فيتنام ومعارك سبتمبر (ايلول) في الاردن تؤكد كلها على امكانية القتال ضد الدبابات بفاعلية وخاصة في الغابات والمدن اذا ما تمتع المقاتلون بالتصميم ، وتحلوا بالتضحية والفداء ، وعرفوا كيف يستغلون الخدعة والمرونة والليل ، ويستفيدون من المساتر التي تؤمنها الاشجار والادغال والبيوت والخرائب .

ويمكن تلخيص المبادىء الاساسية لقتال العصابات ضد الدبابات في المدن بما يلي :

١ ـ فصل الدبابات عن مشاتها بنيران المشاة .

٢ ـ جذب الدبابات الى داخل مناطق القتل المبنية، وتجنب مجابهتها في المناطق المكشوفة على اطراف المدن ما امكن .

٣ ـ تخفيف حدة اندفاع الدبابات بالحواجز من كل نوع (الغام ، متفجرات ، سيارات محطمة .. الخ) .

٤ ـ ضبط نار الاسلحة المضادة للدبابات حتى تصل الدبابة الى اقرب مسافة بحيث تكون اصابتها محتومة وقاتلة ، ذلك لان كل سلاح مضاد يطلق النار دون ان يصيب الدبابة يكشف نفسه ويتعرض لرمي الدبابة التي تشكل بحد ذاتها سلاحا مضادا دقيقا .

٥ ـ استخدام المرونة والحركة الى الحد الاقصى .

٦ ـ شن الهجمات المعاكسة الليلية ضد الدبابات المنعزلة الواقفة داخل المدن كوحوش عمياء مشلولة عاجزة عن القيام بأي عمل قتالي . خاصة اذا لم تكن الدبابات مزودة بأجهزة التصويب والقيادة الليلية ـ وهذه هي حالة دبابات الجيش

الابيض العاملة في الاردن باستثناء بعض دبابات الباتون وهذا ما يجعلها هدفا ثمينا للعصابات .

تنظيم القتال ضد الدبابات

عندما تقرر العصابات مجابهة قوات القمع المعادية في مدن المناطق المحررة لاسباب استراتيجية او ادارية او معنوية حيوية، او عندما تضطر تنظيمات الميليشيا الثورية الى شن الصراع الضاري ضد الدبابات التي تحتل المدن لتطهيرها او اجراء عمليات قمع دموية فيها . فان عليها أن تنظم القتال ضد الدبابات خلال تنظيم القتال كله ، ويمكن تلخيص نقاط تنظيم القتال ضد الدبابات بما يلي :

١ ـ تأمين مفارز الرصد والانذار حتى لا يكون الهجوم المدرع مفاجئا .

٢ ـ قطع كافة الطرق الصالحة لتحرك الدبابات والمؤدية من خارج المدينة الى داخلها بحواجز ومتاريس متتالية متعددة قادرة على ايقاف المدرعات . وهنا لا بد من الاشارة الى ان الدبابات الحديثة قادرة على اجتياز الموانع الصغيرة والصخور المبعثرة واطارات المطاط الملتهبة . فقد تستطيع الحواجز الصغيرة ايقاف المصفحات او السيارات المسلحة برشاش او بمدفع عديم الارتداد ١٠٦ مم ، ولكنها لا تستطيع ايقاف الدبابات القادرة على القفز من فوق الحفر وتجاوز الجدران .. الخ . فلكي تستطيع العصابات ايقاف الدبابات لا بد لها من استخدام حواجز كبيرة ثقيلة الوزن كالسيارات المحطمة المملوءة بالاحجار او المتاريس العالية المصنوعة من صفوف متراصة من اكياس الرمل المدعومة بالحجارة والتراب لتكون جدارا صلبا لا يتهدم او الخنادق المضادة للدبابات على ان لا يقل عمقها عن متر ونصف الى مترين

ولا يقل عرضها عن ٣ امتار . والخنادق العرضانية بعمق متر والمملوءة بالخروق المشبعة بفزارة بالزيت والبترول والتي تشعل من قبل المقاتلين فور ظهور اول دبابة في بداية الشارع . ولا بد عند وضع خطة الحواجز الانتباه الى ترك بعض المسالك الحرة للتموين والاخلاء . علما بان العصابات تعمل في هذا المجال بصورة حرة – باستثناء القوات شبه النظامية المزودة بالآليات – نظرا لعدم حاجتها للطرق في عمليات التموين والاخلاء ، او لشن الهجمات المعاكسة .

٣ – اعداد سدادات الغام مزروعة مسبقا . ومجموعات الغام مربوطة بحبال او اسلاك تبقى على الرصيف ويشد الحبل من قبل احد المقاتلين المختفين داخل المنازل عند وصول الدبابات الى مسافة قريبة من مكان الالغام فتمتد على الطريق وتنفجر تحت الدبابات . وهنا يستحسن اجراء العملية كلها وراء ستارة دخانية خفيفة ناجمة عن اشتعال اطارات مطاطية تخفي الالغام وعملية الجر .

٤ – وضع عبوات من المتفجرات بوزن ٢٠–٤٠ كغ في حفر موجودة على الطرقات وممرات تقدم الدبابات وتفجير هذه المتفجرات كهربائيا تحت الدبابات عند وصولها. ويمكن الاستفادة من حفر تصريف المياه الموجودة في الشوارع لاخفاء المتفجرات وتمديد اسلاك التفجير .

٥ – اعداد مجموعات كبيرة من السدادات الدخانية (اطارات – خروق مع زيوت) ووضعها متعاقبة على الطرقات بشكل يساعد قناصة الدبابات على الحركة ، شريطة ان لا تشعل هذه السدادات الا من قبل قناصة الدبابات وقبل تحركهم لتبديل مواقع الرمي .

٦ – تشكيل مفارز سدود متحركة متعددة مؤلفة من رجال

يحملون الالغام م/د ويتمركزون في مكان يسمح لهم بالحركة مع القوة الاحتياطية المضادة للدبابات الى المناطق المهددة وزرع الالغام على الطرقات المحتملة لتقدم الدبابات .

٧ ــ تشكيل مفارز قناصة الدبابات المزودة بالاسلحة الخفيفة المضادة للدبابات (ربج ــ ٢ ، ربج ــ ٧ ، م ــ٥٧ .. الخ) مع القنابل الدفاعية والقنابل المدخنة والمحرقة والقنابل المضادة للدبابات . وتشكيل مفارز ثقيلة مزودة بمدافع مضادة للدبابات عديمة الارتداد (ب ــ١٠ ، ت ــ٢١ ، ١٠٦ مم) بالاضافة الى مفارز اقتحام متحركة تحمل القنابل المضادة للدبابات والقنابل المحرقة النظامية او زجاجات مولوتوف وحزم المتفجرات المعدة للانفجار .

٨ ــ وضع مفارز الاقتحام في مواقع خلفية تستطيع الانطلاق منها عبر الشوارع والمنازل ومن فوق الاسطحة للاشتباك بالقتال ضد الدبابات . ووضع الاسلحة الثقيلة (ب ــ١٠) على مشارف المدينة او في الساحات التي يكون امامها مواقع رمي واسعة . او على نهايات الشوارع الطويلة . ووضع مفارز قناصة الدبابات داخل البيوت والخرائب والحدائق المحيطة بالمنازل على ان تحقق هذه المواقع ومواقع المدافع (ب ــ١٠ ، او ت ــ٢١ ، او ١٠٦ مم) الشروط الاساسية التالية :

أ ــ ان تكون نيرانها متناسقة مع الحواجز قادرة على ضربها او ضرب العدو الذي يتوقف امامها .

ب ــ ان تكون قادرة على ضرب الدبابات من نقاط ضعفها (الجوانب والخلف) .

ج ــ ان يكون لديها طريق انسحاب مأمون لتذهب من موقع رمي الى موقع رمي اخر ، حتى لو اقتضى الامر حفر

ثقوب في جدران الغرف والبيوت للانتقال من بيت الى اخر ومن شارع الى اخر عن طريق السلالم المنصوبة على الاسطحة .

د ـ اعداد ملاجىء للاسلحة م/د ومفارزها لتبقى هذه القوات «الثمينة» سليمة رغم قصف الطيران والمدفعية الذي يسبق هجوم الدبابات .

هـ ـ تحديد اكثر من فتحة رمي لكل موقع رمي حتى لا يستطيع العدو تحديد مصادر النيران وتدميرها .

و ـ تمويه المواقع بشكل دقيق يمنع كشفها قبل بدء الرمي .

ز ـ تنسيق رمي المدافع المضادة للدبابات مع رمايات الهاون والرشاشات الثقيلة والمتوسطة .

ح ـ تنسيق استخدام النار مع الدخان اذا كانت الشوارع عريضة وامكانية الرؤية امام العدو كبيرة .

ط ـ ان تكون نيران الاسلحة المضادة للدبابات متسلسلة بعمق كبير .

سير القتال

وبعد ان يتم تنظيم خطة القتال في مدن المنطقة المحررة وتنظيم خطة القتال ضد الدبابات كجزء من الخطة العامة تصبح كل مدينة مستعدة لمجابهة العدو وتحطيمه . والحقيقة ان العدو يحاول استغلال تفوقه في التسليح ويستخدم المدفعية والهاون والقصف الجوي برمي تمهيدي كثيف قبل مهاجمة المدينة وفي هذه الحالة تكون الاسلحة المضادة للدبابات مختفية داخل ملاجئها للحفاظ عليها حتى تحين لحظة استخدامها .

ولكن رمي التمهيد لا بد وان يتوقف عند وصول القوات

المهاجمة الى مسافة معينة حتى تستطيع هذه القوات القيام بالانقضاض . وهنا تخرج كافة الاسلحة م/د من ملاجئها وتأخذ مواقع الرمي . وتنتظر قدوم الدبابات .

وتشتبك الهاونات والرشاشات المتوسطة والثقيلة (ب-١٠) او ما شابهها مع الدبابات قبل اي سلاح اخر نظرا لقدرتها على الرمي من مسافة بعيدة نسبيا . وتكون مهمات الرشاشات والهاونات تدمير المشاة المرافقة والسيارات المسلحة وفصلهم عن الدبابات واجبار قادة الدبابات على اغلاق الابراج ومنع استخدام رشاش البرج المضاد للطائرات . على حين تكون مهمة المدافع (ب-١٠) تدمير الدبابات والعربات المدرعة .

ومن الضروري ان يضبط رماة المدافع اعصابهم ولا يفتحوا النار الا من مسافة قريبة بشكل تكون الرشقة الاولى مفاجئة ومؤثرة جدا ماديا ومعنويا . كما ان عليهم ان يبدلوا مكان الرمي بسرعة حتى لا يتم تدميرهم بنيران الدبابات السليمة او القانصات السائرة في النسق الثاني خلف الدبابات .

وما ان تتقدم الدبابات المعادية وتدخل في الفخ المنصوب لها في كل نافذة ووراء كل جدار حتى تبدل تشكيلتها القتالية وتدفع بالمشاة ليفتحوا امامها الطريق ، كما تدفع المهندسين لرفع الالغام والحواجز . هنا لا بد للاسلحة الخفيفة والرشاشة من قنص المهندسين والمشاة وضربهم من النوافذ وفوق اسطحة المنازل ومنعهم من التقدم – وهنا ايضا ينبغي الانتباه الى تبديل موقع الرمي باستمرار مع استخدام الاسطحة والجدران المثقوبة والسلالم المنصوبة مسبقا . ويشترك الهاون ٦٠ في هذه العملية وتنصب قنابله لتدمير المشاة والمهندسين وفصلهم عن الدبابات. ويبقى قناصو الدبابات المزودين بالاسلحة م/د الخفيفة في حالة الانتظار الصامت ، ولا يفتحون النار الا عندما تقترب الدبابات وتدخل الى منطقة القتل ضمن حدود مسافة الرمي

المجدي ، وتتوقف امام الحواجز . وتكون النيران غزيرة مفاجئة وسريعة . ثم تنقطع ليبدأ بعد ذلك تغيير المواقع واخذ مواقع رمي جديدة وراء ستارة دخانية .

وفي هذه الفترة يمكن اشعال خنادق النيران ، وتفجير الحشوات المطمورة المجهزة كهربائيا . وتشترك في الملحمة مفارز الانقضاض التي ترمي بقنابلها المحرقة وقنابلها المضادة للدبابات وحزم المتفجرات من النوافذ والابواب وفوق اسطحة المنازل . وتقتل سدنة الدبابات الذين يحاولون الخروج من البرج بعد ان تتعطل دباباتهم او تبدأ بالاشتعال ، كما انها تدمر بكل سهولة الدبابات التي تعطلت سلاسلها ولكنها لا زالت تتابع على استخدام مدفعها ورشاشاتها .

وهنا يكون دور مفارز الاحتياط المضاد للدبابات المتعاونة مع مفارز السدود المتحركة ان تبقى في موقع الانتظار . حتى اذا تمكنت قوات العدو من فتح ثغرة او اكثر في مكان ما، وبدأت بالتدفق نحو داخل المدينة اندفعت المفارز الخاصة الى اماكن محددة مسبقا لتضع الغامها وحواجزها الاخرى وتستعد مدافعها المضادة للدبابات لاستقبال الدبابات برشقة جديدة .

وهكذا يستمر القتال من موقع رمي الى موقع رمي . وفي كل موقع يتكبد العدو خسائر جديدة تنهك قواه . وما ان يحل الظلام وتصبح الدبابات سلاحا مجردا من كل فاعلية حتى تبدأ مفارز الاقتحام بالحركة مستفيدة من الممرات الموجودة داخل المنازل وفوق الاسطحة . وتبدأ في كل مكان من المدينة هجمات صغيرة بمدافع «ربج» والقنابل وزجاجات المولوتوف ، وتتعرض الدبابات المتوقعة للرمي من فوق الاسطحة ، ومن النوافذ . وتنقلب آلات الدمار الى اكوام من الحديد المحروق الذي تنبعث منه رائحة اجساد العملاء المشوية .

هكذا تستطيع العصابات في المناطق المحررة ان ترد على الهجمات المدرعة الشرسة ، وهكذا تستطيع كل قرية وكل حي ان يصبح مقبرة لوحوش الفولاذ ، وتنقلب الى رحى تدور وتشارك في عملية الطحن لمجابهة عملية الخرق المدرع .

ان القوة الاساسية التي تملكها العصابات لمجابهة الدبابات كامنة في سرعتها وقدرتها على المفاجأة والحركة بمرونة . ولكنها كامنة قبل كل شيء في انضباط الثوار ورباطة جأشهم وروحهم المعنوية العالية ، وقدرتهم على الفداء والتضحية والعطاء حتى يتحقق النصر .

أرفعوا ايديكم عن المليشيا !

« تكمن المنابع العميقة لقوى الحرب الكبيرة في الجماهير الشعبية »

(ماوتسي تونغ)

بدأت حركة المقاومة قبل هزيمة حزيـــران بفترة طويلة ، ولكنها لم تكن تجد الظروف الملائمة لنموها السريع داخل الارض المحتلة وخارجها ، اذ كان صغر رقعة المنطقة المحتلة في ١٩٤٨ ، وتكاثف السكان الاسرائيليين داخلها ، ونقص نسبة السكــــان العرب بالنسبة للسكان الاسرائيليين يقف حائلا امام اقامة قواعد داخلية لحرب المقاومة بكل اشكالها ــ باستثناء الشكل الفدائـــي السري ــ كما ان وجود القواعد الخارجية السرية او العلنية على الارض العربية المحيطة التي كانت دولها تنادي بالتحرير وتــدق طبول الحرب امرا محفوفا بالمصاعب والعراقيل والمخاطر ، وخاصة في الضفة الغربية التي جرد الحكم الاردني اهلها مــن السلاح ، وحرمهم من التدريب ، وقمع كل تنظيم عسكــري او شبـــه عسكري ، ومنع حتى عمليات التسلل الاستطلاعية الى داخـــل المناطق المحتلة .

وجاءت هزيمة حزيران لتكون منعطفا بالنسبة لحركـــة

المقاومة . فلقد اتسعت رقعة الارض المحتلة ، وزاد عدد السكان العرب الواقعين تحت الاحتلال ، وانضم الى حركة المقاومة زخم جديد قادم من منطقة غزة التي ملك اهلها السلاح وتدربوا على استخدامه طويلا قبل الاحتلال ، ومن منطقة الخليل الجبلية التي امتاز سكانها بقدرتهم على تحمل مشـــــاق حرب العصابات ، بالاضافة الى دخول كافة سكان المناطق الاخرى كاحتياط مادي ومعنوي كبير لمعركة كبيرة . ولم يقتصر التحول علـــى الارض المحتلة ، بل شمل الارض العربية المحيطة، ووقفت الدول العربية المعنية خلال فترة معينة شبه عزلاء امام زحف العدو ، وتوقف اطلاق النار في كل مكان ، ولم ترتفع اية بندقية في وجه العدو سوى بنادق المقاومة . ووسط جو الهزيمة من جهة والتحـدي المطلق الفعلي من جهة اخرى ، برزت المقاومة على انها الحركـة العربية الديناميكية الاكثر فاعلية في المنطقة ، واكتسبت بذلك مدا جماهيريا (فلسطينيا وعربيا) ساعدها على النمو داخـــل الارض المحتلة وخارجها، ووجدت الفرصة الملائمة لخلق قواعدها على الارض العربية المحيطة ، وخاصة على الارض الاردنية التي تتجمع فيها اكبر نسبة من الجماهير الفلسطينية التي جـــاء مهاجرو عام ١٩٦٧ من الضفة الغربية وقطاع غزة ليضيفوا اليها آلاف جديدة من المعدمين سكان المخيمات .

ومرت عملية بناء القواعد في الاردن ببعـــض الصعوبات الجزئية والعراقيل التي وضعها امامها النظام المهزوم الذي لـم يكن يملك سوى فلول الجيش المنسحب من الضفـــة الغربية ، وبقايا قطعات الحرس الملكي والبادية وقوى الامن التي لم تشترك في المعركة اصلا . ولكن السلطات الاردنية ، رغم خوفها مـــن تضخم المقاومة واتساع نفوذها بين صفوف الجماهير ، لم تكـن تملك القدرة المعنوية او المادية على مجابهتها ، ولا تستطيع تقديم اي مبرر لمنع الفدائيين من ضرب العدو الذي سلب منها الضفة

الغربية والقدس ، وجردها من طيرانها وسلاحها الثقيل ، وحطم كبريائها العسكري ومعنوياتها وفضائلها الحربية . فلم تجد بدا من السفر مع المقاومة برحلة شهر عسل اجبارية قصيرة . ووسط هذا الجو انطلقت شعارات «الجيش الاردني درع المقاومة» و«كلنا فدائيون» .. الخ .

وانطلت الحيلة على بعض فصائل المقاومة ، ووجد الفكر التوفيقي مجالا خصبا للتحرك ، وابتدأ يتحدث عن تعاون الاشقاء العرب ضد العدو الصهيوني ، ووعت الفصائل الاكثر تقدما حقيقة المرحلة وطبيعة ازدواج القوى والمصالح ، لقد علمتها تجربتها المريرة الماضية مع الحكم الاردني كيف تكشف حقيقة هذا الحكم ، ونوايا الطبقات التي يمثل مصالحها ، والمدى الزمني الذي يمكن ان يدوم به سكوته على مضض ازاء تصاعد المد الثوري . ورأت كيف تلملم الرجعية في الاردن شتاتها وتعيد تسليح نفسها استعدادا لحماية العرش لا البلد .. وبعد ان رسخت هذه الفصائل قواعدها القتالية وعمقت اتصالها بالجماهير الواسعة رأت ان عليها ان تحمي ظهرها من الطعنات المنتظرة بشعب مسلح يكون نبع قوتها ، ومصدر وحيها ، ودرعها الحقيقي اذا ما طالت اظافر الحكم وأنيابه وقرر اثبات وجوده . وهكذا ظهرت المليشيا كقوة كامنة تقف وراء الثورة حصنا ورافدا، وبقيت بالنسبة للسلطة سيف ديموقليس .

ومع هذا لم يتحرك الحكم الاردني ليحسم الامر قبل استفحاله ، وظن بعضهم ذلك دليلا على الحكمة وعدم الرغبة بسفك الدماء العربية ، استعدادا للمعركة الفاصلة مع العدو الصهيوني . واستراح اصحاب العقلية البورجوازية التوفيقية على هدهدة هذا الحلم . فلم يروا حقيقة العجز المادي والمعنوي الكامن وراء هذه الحكمة . وفهمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وغيرها من فصائل المقاومة الواعية ان العدو «لن يأكل

طبق الانتقـام الا باردا» ، وان الاستعدادات الجارية داخـل الجيش ووسط الطبقات والعشائر الموالية لا تستهدف الاعداد لحرب تحرير ، وان الطعنة من الخلف آتية لا ريب فيها عندمـا تتكامل الظروف الملائمة لها . فزادت التحامها مع الجماهـير ووسعت قاعدة المليشيا ، وزادت تدريبها وتسليحها لتكون على مستوى المجابهة .

ولما تكامل الاستعداد المادي في معسكر الثـورة المضادة ، وانتهى تسليح الجيش وتشكيل القطعات الخاصة وشراء الولاءات ، تفجر التناقض بدفع من اصحاب الحلول التصفويـة وتحت تغطيتهم المادية والمعنوية ، وكان الهدف الاول الذي توجه الجيش لضربه هو الاحياء السكنية ومخيمات اللاجئين ، حيث توجـد المنابع الحقيقية لقوة المقاومة ، حيث توجد المليشيا .. وعندما توقف القتال كان طلب سلطة العملاء الاول خروج الفدائيين مـن المدن ، وهي تعلم كل العلم ان لا فدائيين هناك . ولكنها تقدمت بمطلبها كذريعة للتخلص من المليشيا قبل البدء بالصراع مـع المقاومة خارج المدن . وموقف السلطات الاردنية مفهوم ومنسجم مع تكوينها الفكري والطبقي . فلقد كانت الاوليغاركية والطبقات المستغلة دائما وفي جميع البلاد مضادة لتشكيل المليشيا ، التي ترى فيها بداية سير الشعب على طريق امتلاك حريته . ويؤكد لنا تاريخ الثورات على ان وجود المليشيا مظهر اساسي مـن مظاهر شعبية الحكم وديمقراطيته وتلبيته لمطالب الجماهير . وان «برومير» كل ثورة يبدأ بضرب المليشيا (الامة المسلحة). حقا لقد كان الحكم الاوليغاركي الاردني الرجعي منسجمـا مع نفسه ، وكان على المقاومة ان تنسجم مع الدور التاريخي الـذي حملت لواءه ، وان تقاوم الخطة المشبوهة ، وتقف كلها مع عدم نـزع الدرع والدخول الى المصيدة . ولكن اكثر من بليخانوف وقفوا يرددون «لقد كان علينا ان لا نقاتل» لقد هزتهم بعض النجاحات

الجزئية التي حققتها السلطات ، فنسوا - او لعلهم لم يعرفوا اصلا - قانونين ثوريين اساسيين يؤكد احدهما عدم قدرة المليشيا على الدفاع مدة طويلة امام قوى متفوقة بالعدد والخبرة والسلاح، كما يؤكد الثاني حتمية المد والجزر في مسيرة الثورة الطويلة . وكانت الهزة كبيرة لدرجة جعلتهم يقبلون العديد من التنازلات ، وأهمها تجريد المقاومة من سلاحها بشكل يقلب نجاحات العدو الجزئية التكتيكية الى نجاحات استراتيجية . ويغير طبيعة المقاومة من قوة سياسية-عسكرية كامنة في كل مكان ، متلاحمة مع الجماهير المسحوقة حيث توجد هذه الجماهير ، الى قوة شبه عسكرية معزولة في الجبال . كما يغير التوزيع الاستراتيجي للمقاومة ، فبدلا من ان تكون شبكة منتشرة فوق كل ارجاء البلاد ، تهتم مجموعاتها القتالية بالصراع ضد العدو الاسرائيلي على حين تقف مجموعات المليشيا مستعدة لخنق كل محاولة لضرب مجموعات القتال، اصبحت المقاومة نقطة تدور في الفضاء، وتتجه لضرب العدو الاسرائيلي وهي لا تعلم متى تأتيها الضربة من الخلف .. ورفضت الجبهة الشعبية كل هذا لانها تريد ان تكون ايدي المجموعات القتالية طليقة للعمل داخل الارض المحتلة، ولانها تعلم بان حرية عملها مرهونة بوجود قوة تكبح جماح الثورة المضادة .. لقد رفضت الجبهة تسليم سلاح المليشيا لانها ترفض المشاركة في دفع المقاومة الى مقبرة الثورات .

ومن المؤكد ان هذا الرفض لم يأت بمحض الصدفة ، ولم يستمد دوافعه من الرغبة بأخذ موقف متميز -كما يدعي البعض- ولكنه نابع من تحليل الجبهة الواسع لطبيعة المرحلة ، ودرجة التخمر الثوري بين صفوف الجماهير ، وطبيعة النظام الاردني ، وحقيقة تناقضاته الداخلية وتناقضاته مع وجود المقاومة ، والخارطة السكانية والطبقية في الضفة الشرقية لنهر الاردن ، وعدد كبير من العوامل الاجتماعية والسياسية والعسكرية

الاخرى ، انه موقف مبدئي يستند الى الرؤيا الواضحة للظروف الملموسة ، وتحديد صحيح للهدف ، وتقييم متكامل لميزان القوى — كل القوة لا العسكرية فحسب . لقد بنت الجبهة الشعبية تنظيمات المليشيا (الحرس الاحمر) وأعدتها سياسيا وعسكريا لانها لا تقبل ان تكون مجرد منظمة قتالية شبه عسكرية معزولة عن الجماهير ، ولا تسمح لكائن ما ان يمنعها من أن تلعب دورها التاريخي كطليعة من الطلائع التي تقود الجماهير في ثورتها العارمة ، **وكرأس حربة موجه نحو كل اعداء هذه الجماهير مهما كانت هويتهم** . وهي تعرف حدود امكانيات هذا الحرس الاحمر ، ودوره في اعداد الجماهير وتعبئتها ، ومهماته المختلفة المتباينة في كل مرحلة من مراحل القتال ، كما تعرف انه يتحمل العبء الاكبر من ضغط قوى القمع في المدن عندما يبدأ هجوم قوى الثورة المضادة . لقد خلقت الجبهة هذه المليشيا وسط ظروف المناخ الثوري الذي جاء بعد الهزيمة ولم يكن هذا الخلق ممكنا لولا هذا المناخ «لان وجود المليشيا البروليتارية او الحرس الاحمر في البلاد الامبريالية وداخل اطار الدولة البورجوازية امر متعذر ومستحيل في زمن السلم الشامل» (لينين) ، وهي مصرة على بقاء هذه القوة الثورية للحفاظ على هذا المناخ الثوري قائما ، اي للحفاظ على وجود الثورة . ان تصفية المليشيا بداية لتصفية الثورة ، وتصفية الثورة تعني انتهاء المليشيا . وما اعجب ان تكون القوانين الثورية امامنا واضحة ، ولا نجشم انفسنا عناء النظر اليها .. ثم نسمي انفسنا مع ذلك ثوارا !!

ولكن ما دام الامر بمثل هذا الوضوح ، فكيف يفسر انصار تجريد المقاومة من درعها موقفهم ، وما هي المبررات التي يطرحها مؤيدو هذا الموقف (في السلطة ، والاوساط البورجوازية ، وبعض اوساط المقاومة) رغم تباين طريقة الطرح وأهدافه

ودوافعه . وما هو ردنا على هذه المبررات ؟

● ١ ـ المبرر الاول : هو عدم اعطاء الدولة اية حجة للصدام مع المقاومة وهذا مبرر نابع من عقلية بورجوازية ليبرالية تعتبر الصدام الداخلي ـرغم ضرورتهـ امرا سيئا ، وتحاول تامين الاستقرار بأي ثمن ولا ترى الامور بعين الماركسي الثوري الذي «يرتكز على الصراع الطبقي لا على السلم الاجتماعي» (١). كما انه ناجم عن جهل بطبيعة السلطة الاردنية ، والتصرف وكأن هذه السلطة الاوليغاركية المتناقضة مع وجود المقاومة اصلا بحاجة لحجة للصدام . نظرة واحدة على التاريخ تعلمنا ان قوى العدوان الخارجي ، وأجهزة القمع الداخلي لا تحتاج الى مبررات لبدء عملها . ان عملها مرهون باللحظة الملائمة لبدء الهجوم ، وميزان القوى الذي يسمح بالهجوم، وحدود الاهداف المتعاقبة، وردود الفعل الداخلية والخارجية المنتظرة . اما المبرر فموجود دائما وفي كل زمان ومكان . وهل يمكن ان نتصور انه لم يكن لدى السلطات طوال عام ١٩٦٩ وطوال النصف الاول من عام ١٩٧٠ اية حجة لضرب المقاومة ؟ ان وجود قوتين متضادتين بالهدف والتكوين على مسرح عمل واحد يشكل الدافع الاول لكل صدام . وهذا الوجود قائم اليوم ، وكان قائما منذ حملت المقاومة اول بندقية ، وانشأت اول قاعدة ، وأغارت على العدو الاسرائيلي اول اغارة رد عليها بأول عملية رادعة ضد قوات الجيش الاردني او ضد القرى العربية في الضفة الشرقية . ويستمد هذا المبرر (عدم اعطاء الدولة اية حجة للصدام) وجوده من عدم قدرة الكثيرين على رؤية تحول الرجعية الاردنية من حليف عربي محتمل للصراع ضد الاستعمار الاسرائيلي الى عدو اساسي مباشر لا يقل خطورة عن اعدى اعداء الثورة . لقد قلبت

---

(١) لينين «المؤلفات الكاملة» الجزء ١١ .

الرجعية الاردنية بمواقفها العدوانية المتتالية تسلسل الاعداء الجاثمين على صدر الجماهير العربية ، ووضعت نفسها بنفسها في معسكر العدو الاساسي ، بل في مكان الصدارة من هذا المعسكر . وخدعت هذه الرجعية (المتآمرة تاريخيا على الشعب) القوات المسلحة الوطنية **وجرتها الى منزلق لا وطني خطير ،** وغذت الروح الاقليمية في محاولة من محاولات امراء القرون الوسطى ، ولكن بدون نبل اولئك الامراء وشهامتهم . وغدت بذلك اخطر قوة تعرقل مسيرة الثورة .

وهكذا نرى ان الحكم العميل لا يبحث عن المبررات ، فهي امامه حيثما التفت ووجد بندقية غير منكسة ، وجبينا شامخا، ودما يغلي يريد ان يسيل على ارض الوطن . والمبررات اللازمة لتحقيق نجاح المناورة السياسية والاعلامية الخارجية موجودة ، وان لم يجدها المعتدون اختلقوها . الم يعلمهم هتلر وسلسلة الطغاة هذا الدرس ؟ ألم تعلمنا آلاف الاعتداءات الاسرائيلية الكبيرة والصغيرة . هذه الحقيقة ؟ حقا ان هناك من يصعب تعليمهم !

● ٢ ــ المبرر الثاني : اكثر من سفيتشين يهاجمون اليوم المليشيا ، ولكن حججهم اكثر من حجج سفيتشين فجاجة وأقل اخلاصا . انهم يدعون بأن المليشيا المسلحة داخل المدن تخلق نوعا من الفوضى ، والذعر ، والبلبلة ، وحالات الاعتداء الخ .. لماذا ؟ فلم يكون السلاح بين يدي الحرس الاحمر مثارا لكل هذه الفظائع (؟) ولا يكون كذلك اذا ما حملته الشرطة او الجيش او اية منظمة مسلحة اخرى ؟ اذا كان السادة (!) ضباط القوات المسلحة قادرين على فرض انضباط فوقي صارم نابع من التنفيذ الآلي فعند رفاقنا كوادر الحرس الاحمر القدرة على تأمين انضباط طوعي أشد صرامة لانه نابع عن الوعي بقداسة المهمة التاريخية ودور الطبقة الثوري الطليعي . واذا كان جنود القوات المسلحة

يخضعون لنظام الثكنة وقوانينها ، فرجال الحرس الاحمر يخضعون لنظامالحزب الذي يشكل مدرسة اخلاقية وايديولوجية وعسكرية . واذا كان افراد القوات المسلحة يودون حماية الامن، فان رفاقنا في المليشيا حريصون ايضا على الامن . الاختلاف هنا هو : عن اي امن تتحدثون ؟ شرطتكم التي تريد الحفاظ على أمن حفنة مستغلة تقف في معسكر الثورة المضادة جهاز مقدس لا يلمس ، ولا بد من تعزيزه بمزيد من السيارات المسلحة بالرشاشات ... ومزيد من الجنود الذين تركوا الحدود مع العدو ، وخلعوا لباسهم العسكري وارتدوا لباس الشرطة ، ليشرعوا حرابهم في وجه الجماهير . اما المليشيا ، اما رجال الحرس الاحمر البروليتاري الذين يودون حماية امن الشعب وأمن الثورة، فجهاز خطير لا بد من تصفيتهوتجريده من سلاحه. حقا ان حديثنا بلا معنى ، اننا لا نتكلم لغة واحدة ، امننا غير امنكم ، عدونا غير عدوكم ، ولون جلودنا غير لون جلودكم ، وطبيعة دمائنا غير طبيعة دمائكم ، حتى مفردات اطفالنا الذين يلعبون بظروف الطلقات الفارغة ، ويلتقطون من طين الحواري شظايا قنابل مدفعيتكم القادمة من الولايات المتحدة الاميركية ، ويغوصون في البؤس حتى أهداب عيونهم ، فهي مختلفة عن مفردات اطفالكم !

● ٣ ــ المبرر الثالث : وهو بأننا نعسكر الان في الجبال ، وحربنا المقبلة موجهة ضد العدو الاسرائيلي ، فاذا ما شاءت السلطات الاردنية عرقلةجهودنا كان بوسعنا شنحرب العصابات ضدها والمسرح الاساسي لهذه الحرب هو الجبال والريف . اذن لم تواجد الحرس الاحمر في المدن ؟ وبالرغم من صدق نوايا اصحاب هذا المبرر ، ووجود عدد من الرفاق الثوريين بينهم ، فان هذا لا يمنع التنبيه الى خطأ مبرراتهم . انهم انصار البؤرة الثورية في الريف ، وتفكيرهم آت من محاولتهم لتطبيق التجربة

الكوبية او بعض مراحل التجربة الصينية بشكـــل ميكانيكي . وتكفينا نظرة فاحصة على توزيع السكان في الضفة الشرقية ، وتمركز غالبية السكان في المدن ووجود الجماهير المعدمة (هدف الثورة وأداتها ووقودها) مكدسة في الاحياء الفقـــيرة المجاورة لاحياء البورجوازية الكومبرادورية ، او في مخيمات اللاجئـــين المجاورة للمدن ، وسيادة الروابط العشائرية القبلية في القرى، وندرة السكان في الجبال أو القفار ، وعدم وجود مستنـــــد (حدود) تسند اليه عصابات الجبل ظهرها خلال القتال ، وتمركز التجمعات الفلاحية ، او القرى الكبيرة التي يطلقون عليها تجاوزا اسم مدن على الطرق الحيوية ، وفقر الريف عموما وندرة مصادر الماء والمؤونة فيه ، وسلبية الفلاحين الناجمة عن خوفهم التاريخي من السلطة وتقصير المقاومة والاحزاب التقدمية في خلق المناخ الثوري بين صفوفهم ، ونجاح السلطات الرجعية في استغـلال الرأي الشائع عن «فلسطينية» المقاومة بغية تغذيـــة الـــروح الاقليمية في بعض المناطق ، وتمركز قلب القوة السياسيـــــة والاقتصادية للدولة كلها في العاصمة ، الخ ، يجعـــل ظروف الضفة الشرقية لا تتقبل هذا المنطق ، بل تؤكد على العكس ضرورة وجود قوتين ثوريتين متكاملتين قادرتين علـى العمل معا عنـد اللزوم ، وبتعاون وثيق ، لتأمين « العصيان المنسق » ضد كل من يريد ضرب الثورة من الظهر ، شريطة ان تكـون القوة الاولى من مجموعات القتال العاملة في الريف والجبال ، وتكـون القوة الثانية من مفارز الميليشيا المسلحة فـي المدن . عندها لا تعمل المجموعات القتالية في الجبال وهي معزولة عن الجماهير والمراكز الحساسة للسلطة ، ولا تجابه الميليشيا قوات القمع لوحدها في المدن الا خلال الفترة الاولى وريثما تتحرك قوات الجبل لنصرتها بحرب العصابات . هذا هو الحل الامثـل في ظروفنا الراهنة ،

وهو الحل الذي تتبناه الجبهة الشعبية مقابل التطبيق الحرفي الآلي لتجارب عدد من الثورات ، والذي يتبناه بعض الرفاق ، وكان غيفارا — اعظم الثوار المعاصرين — قد تبناه ، ودفع حياته في ادغال بوليفيا ثمنا لذلك .

● ٤ — المبرر الرابع : هو ان المليشيا لا تشكل بالضرورة قوة ثورية . فهذه السلطه الرجعية تملك مليشيا تعمل في خدمتها ضد مصلحة الجماهير .. هذا هراء ! وحيلة قديمة لم تعد تنطلي على احد . ان كل الطبقات المستبدة الحاكمة قادرة على استغلال التناقضات المذهبية والعنصرية والعشائرية ، والافادة من العقلية الاقليمية البائدة ، ومن الرشاوي المادية والمعنوية لخلق تنظيمات تضم عددا من الفاشيين المتطوعين ابناء الطبقات الحاكمة ، بالاضافة الى عدد من البروليتاريين ونصف البروليتاريين المخدوعين ، وقطاع كبير من البروليتاريا الرثة . ولا يغير من طبيعة هذه المؤسسات ان تأخذ اسم المليشيا او المليشيا الشعبية، او الحرس الوطني ، او الاهلي او اي اسم اخر . ان اسم اية مؤسسة عسكرية او شبه عسكرية لا يبدل تكوينها ودورها ، والدليل الوحيد على هويتها هو اتجاه حرابها . وما دامت حراب الحرس الوطني موجهة نحو صدور الجماهير ، فهو قوة من قوى الثورة المضادة . أفلم يكن لينين واضحا عندما اشار الى هذه النقطة بقوله : « نحن لا نؤيد المليشيا البورجوازية ، بل نؤيد المليشيا البروليتارية فقط » .

● ٥ — المبرر الخامس : يشير بعض الرفاق الى ان المقاومة والمنطقة كلها تعيش مرحلة جزر ثوري ، ولا بد في ظل هذا الظرف من اجراء تراجعات تكتيكية مرنة ، ومن بينها سحب اسلحة المليشيا .

ولكن وعي طبيعة المرحلة لا يعني المبالغة في التنازلات .

وحجم التراجعات التكتيكية في مرحلة الجزر الثوري امر محدد بكل دقة ، ولا ينبغي ان يطـــول في الزمان والمكان عـــن الحد التكتيكي المرسوم له ، والا انقلب الى هزيمـــة . كما ان مرحلة الجزر الثوري نفسها تتطلب اكثر من اية مرحلـــة اخرى وجود مليشيا مسلحة قوية داخل المدن ، كيما تستطيع هـــذه المليشيا شن معركة تراجعية شرسة صامدة تحمي الوضع الثوري كله . وكلنا نعلم ان الهجـــوم وعمل الطليعـــة يحتـــاج لجرأة وتصميم كبيرين ، ولكننا نعلـــم ايضا ان المؤخرة التي تكلف بشن المعركة التراجعية تشكل قوة فدائية لا بد وان تتمتع بجرأة اكبر وتصميم اشد .

● ٦ – المبرر السادس : هو ان السلطات الاردنيـــة لا تود سحب اسلحة المليشيا ، بـــل جمعهـــا في مستودعات خاضعة لاشراف المقاومة .

ويدل ترديد هذا المبرر على جهل مطبق بمعنى وجود الحرس الاحمر واساليبه القتالية في المدن . ان خطورة الحرس الاحمر وقدرته على ارهاب اجهزة القمع ، وردعها ، لا تكمنان في قوته المادية ، بل في عدم القدرة على تحديد مكان هـــذه القوة بشكل مسبق . واحتمال اندلاع ميكانيكية عملها في كل زمان ومكان . ومن المؤكد ان سحب الاسلحة ووضعها في مستودعات ، تسهل السيطرة عليها من قبـــل قوات السلطـــة ، يعني اقتـــلاع انياب الاسد قبل دفعه الى القفص ، وتجريد المليشيا من عامل المفاجأة بالزمان والمكان – اذا مـــا ارادت الهجوم – وتعريض كـــل قوتها لضربة واحدة مفاجئة اذا ما قررت القوات الملكية البدء بالهجوم ، او بكلمة موجزة حرمان المليشيا من حرية العمل .

***

لقد كان للمقاومة مع السلطة جولات عديدة ولا بد ان تعلمنا

جولة سبتمبر (ايلول) ان نكــون اكثر التحاما بالجماهير ، وان نحمل السلاح بمزيد من الحزم ، وان نكون اكثر حذرا من ذي قبل وان ندعم المليشيا بدلا من ان نجردها من سلاحها حتى لا تؤخذ على حين غرة « فان الامة والمرأة لا تغتفر لهما تلك اللحظة التي تفقدان فيها الحذر ويتمكن اول مغامر يمر بهما من ان ينتهكهما » (ماركس) .

ان على قيادة المقاومة ان تقف بجرأة امام دورها التاريخي ، وتزيد الاتجاه نحو تسليح المليشيا ، وتخلق مــن الحرس الاحمر البروليتاري جيشا كاملا بــلا معسكرات ، يعيش ظروف حياته التي هي ظروف حياة الطبقة العاملــة ، وان تحافظ في الوقت نفسه على المجموعات القتالية الجبليــة ، فليست المليشيا بديلا لها ولكنها ذراعها الثانية .

ان الجبهة الشعبية التــي رفضت وترفض تسليم اسلحة المليشيا لا تنسى ابدا قول الثائر خوزيه مارتي « من الجريمة ان تثير في بلد ما الحرب القابلة للتفادي » ولكنهــا لا تكتفي بهــذا الشق من قول الثائر الكوبي بل تذكر الشق الثاني القائل بانه من الجريمة ايضا « ان تتقاعس عن اثارة الحرب التي لا سبيل الى تلافيها » .

لقد دفع البروليتاريون الصينيــون كثيرا مــن الدماء فــي انتفاضة شنغهاي الاولى فــي اوكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٦ ، وانتفاضة شنغهاي الثانية في فبراير (شباط) ١٩٢٧ ، حتى تعلموا دروسا عميقــة استطاعوا بفضلها تحقيــق الانتصار في انتفاضة شنغهاي الثالثة في مارس (اذار) ١٩٢٧ ، ولكن جهل قيادة الحزب بحقيقة التطور الذي اصاب الكيومينتانغ وانتقاله من معسكر حلفاء الثورة ضــد الامبرياليين وعتاة الرجعيين الــى معسكر الثورة المضادة ، دفع القيادة الى اصــدار اوامر تقضي

بتسليم اسلحة الحرس الاحمر الى جيش تشانغ كاي تشك ، ولما تم ذلك سحق هذا الجيش قوات الحرس الاحمر وقتل الالوف من خيرة عناصره وكوادره . ولكن التاريخ لم يدع هذه القيادة تنجو من العقاب . فلقد ادانها المؤتمر الاستثنائي الذي عقده الحزب الشيوعي الصيني في اغسطس (اب) ١٩٢٧ ، ووصمها بالانتهازية والتقاعس ، وحرمها من كل دور قيادي . فلكي لا يبهركم وجود العدو الامبريالي الاسرائيلي ، ويمنعكم من رؤية حقيقة الحكم الاردني ، ويدفعكم الى مهادنة الحسين . ولكي لا يكرر الكيومينتانغ الاردني مأساة شنغهاي ، وحتى لا يصدر التاريخ عليكم حكمه القاسي ، انزعوا اوهام البورجوازية وارفعوا ايديكم عن المليشيا !

مفهوم القتال التراجعي في حرب العصابات

« غالبا ما يحتاج الانسحاب شجاعة معنوية تفوق الشجاعة اللازمة للهجوم » .

في ١٢ ـ ٥ قامت القوات المدرعة الاسرائيلية تساندها طائرات الدعم المباشر بالعدوان على جنوب لبنان . هذا حدث عسكري له مدلوله الكبير وابعاده غير العسكرية . ولا بد لنا من فهم دوافعه ومراميه ، وتقييمه بشكل علمي يحدد هويته .

وليس القيام بهذا العمل امرا سهلا نظرا لتشابك العوامل النفسية والعسكرية والسياسية الداخلة فيه . ولست اود التحدث هنا عن عمل العدو نفسه ، ولكنني اود الاكتفاء بتعريفه واعطائه حجمه الطبيعي لانتقل بعد ذلك الى الموضوع الاساسي : وهو دور العصابات العربية وأساليبها في مجابهة مثل هذا العدوان .

ويمكن تعريف هذا العدوان بانه حلقة من حلقات استخدام العنف المحدود لتحقيق الردع المتدرج ، بعد ان فشلت الحرب الباردة واساليب الضغط والتهديد ، والتلويح بالقوة ، والعمليات الانذارية في ثني ارادة الشعب العربي في لبنان ، ومنعه من دعم واحتضان العمل الفدائي بكل صوره واشكاله .

واننا لنود هنا ان نرد على التساؤلات المترددة هنا وهناك والتي يطلقها البعض عن نية حسنة وشوق الى المعرفة ، على حين يطلقها البعض الآخر بغية التشكيك والغمز واللمز . ومن هذه الاسئلة المطروحة :

- هل استطاع الفدائيون ايقاف الارتال المدرعة ؟
- هل تكبد العدو خسائر فادحة بالرجال والمعدات ؟
- لماذا ترك الفدائيون مواقعهم بعد فترة من القتال ولم يبقوا فيها الى نهاية المعركة ؟
- لماذا استطاع العدو الدخول الى القرى ؟

والاجابة على هذه الاسئلة متشعبة متعددة ، ولكن بوسعنا ان نجملها باجابة واحدة ، هي ان صمود الفدائيين في جنوب لبنان لا تعني ان عليهم في المرحلة الحاضرة ان يأخذوا مكان الجيش التقليدي او يتصرفوا كتصرفه او يقوموا بالواجبات الملقاة على عاتقه وكل من يفكر بان الفدائيين — في واقعهم الراهن — قادرون على صد هجوم كاسح مدرع وجوي عبارة عن شخص يجهل طبيعة عمل العصابات ، او يتعلق باوهام رسمها لنفسه بعد ان وقع فريسة رومانسية وسائل الاعلام العربية التي لم تبدل الكثير من اساليبها رغم هزة حزيران العنيفة .

وما دام الامر كذلك ، فما هي مهمة رجال المقاومة الرافضين لمنطق الهزيمة ، والدافعين من دمائهم ثمن عزلهم الاجباري السابق ومنعهم من اداء واجبهم خلال ٢٠ عاما ؟ وما هو دورهم عندما يحاول العدو التقدم على ارض الوطن ، مستخدما تفوقه بالعدد والعدة ، ليدس وسط قعقعة السلاح اشاعاته ودعاياته المسمومة الرامية لعزل الفدائيين عن السكان الفلاحين ، وخلق تناقضات حادة داخل البلاد ؟

ان منظمات المقاومة تقوم اليوم بحرب عصابات تطمح لان تنقلب الى حرب تحرير شعبية طويلة الامد ، ومن الطبيعي ان

تطبق اساليب حرب العصابات ومبادئها ، وان لا تخرج عن هذه المبادىء ارضاء لنزوة او تلبية لهوى ، لان الخروج عن قوانين الحرب ـ سواء كانت حربا تقليدية ام حرب عصابات ـ يعني الاضطرار الى دفع ضريبة غالية ، تفقد الحافز على هذا الخروج كل معناه ، وتقلب الايجابيات المنتظرة الى سلبيات يصعب اصلاحها .

ومن المعروف ان العصابات تطبق خلال قتالها ضد عدو متفوق ست قواعد تحدث عنها ماوتسي تونغ وجعل منها اسس استراتيجيته وطبقتها العصابات الثورية بنجاح في العالم اجمع ، ويهمنا من هذه القواعد هنا قاعدتان هما :

- الانسحاب امام تقدم العدو انسحابا يتجه نحو المركز .
- التقدم امام عدو متراجع .

ومن الطبيعي ان تسير منظمات المقاومة على هدي هذه الاسس طالما انها لا تزال حتى يومنا هذا اضعف ماديا من العدو ، وتحاول جهد طاقتها قلب ميزان القوى لصالحها بفضل استراتيجية غير مباشرة ، وحرب طويلة الامد ، تعتمد على تلاحم المقاومة مع الشعب ، وتحلي رجالها بقوة معنوية نابعة من وعيهم الثوري وعدالة حربهم ضد المغتصبين ، بالاضافة الى الاستفادة من طبيعة الارض الوعرة التي تمنع استخدام التفوق التقني حتى حدوده القصوى .

وهكذا فان الدفاع المرن الفعال ، المبني على الطلعات التعرضية والاغارات المستمرة امام العدو المتوقف ، والتراجع الارادي ، والهجمات المعاكسة المحلية امام العدو المتقدم والمطاردة الحثيثة ، والكمائن المتواترة ، وعمليات الاعاقة والازعاج امام العدو المنسحب ، هو الدفاع الذي يمكن للعصابات ان تتبناه لتضرب عدوها بتعقل وفي الوقت الملائم بشكل يجعلها قادرة على

الاستمرار في القتال اطول وقت ممكن وتكبيد العدو خسارة باقل عدد من التكاليف .

وتعتبر الاغارات والطلعات التعرضية والهجمات المعاكسة والمطاردة والكمائن اعمال ايجابية غايتها تدمير العدو ، على حين يعتبر التراجع الارادي او (القتال التراجعي) عملا يسعى الى تدمير العدو بفضل الارض والمقاومة والجهد الذي يبذله العدو نفسه . ولقد دُرست الاعمال الايجابية من قبل معظم منظري العصابات ، واتفق الجميع على ضرورتها واهميتها . ولا بد لنا هنا من بحث اكثر تفصيلا يشمل موضوع التراجع الارادي الذي تضطر العصابات الى ممارسته تحت ضغط اختلال ميزان القوى .

ان حرب العصابات في حد ذاتها نوع من انواع الدفاع غير المباشر ، والتراجع الارادي « شكل خاص من اشكال الدفاع غير المباشر » (١) . وهو يتم حسب خطة مرسومة لجذب الخصم الى اعماق البلاد ، وانتظار الفرصة الملائمة لضربه ضربة قاصمة . وتأتي هذه الفرصة عادة نتيجة ضعف اندفاع المهاجم الناجم عن طبيعة الارض ، والانهاك الذي يسببه التقدم على طرقات مليئة بالحواجز والتخريبات ، والمقاومة المستمرة المحسوبة التي تبديها العصابات التي لا تتنازل عن شبر من الارض الا بعد مقاومة عنيدة بشكل يصبح تقدم المهاجم فيه مشابها لاختراق مستمر لا لمطاردة عادية .

ويتم التراجع الارادي من موقع قتال الى موقع قتال . ويختلف القتال في كل موقع حسب طبيعة الارض وميزان القوى ... الخ فهو يتراوح بين المعركة الدفاعية المحلية ، والكمين ، والهجمة المعاكسة الى غير ذلك من العمليات ، ولكن هناك قانون يحكم جميع هذه العمليات وهو ان لا يتجاوز القتال

---

(١) كارل فون كلاوزفيتز ، في الحرب ، الجزء الاول .

في كل موقع حـدود « المقاومة المستمرة المحسوبة » . ويمكـن تعريف المقاومة المستمرة المحسوبة فـي حرب العصابات بانهـا المقاومة التي لا تستمر سوى الوقت الكافي لتكبيد العدو خسائر كبيرة بالمفاجأة ، ثم التخلي عن الارض فـور انتهاء مفعول عامل المفاجأة ، وقبل ان يبدأ المهاجم باستخـدام وسائطه القادرة على دحر العصابات ، وقلب قتالها التراجعي الى هزيمة .

ومهما كانت قوة المهاجم الاولية كبيرة ، فان القيـام بقتال تراجعي شرس ، وعدم زيادة سرعة الانسحاب ، وتغطية كل وثبة انسحاب بمؤخرة قوية مزودة باسلحـة مضادة للدبابات وقادرة على القتال بصلابة دون ان تفكر بالتراجع ، تجبر العدو المهاجم على التقدم متحسسا طريقه بتردد كالاعمى ، وتمنعه من الاندفاع والتغلغل الى اعماق البلاد ، مستفيدا من تأثير قوة معنوية ناجمة عن المطاردة تتجاوز كل حساب .

وتستفيد العصابات المنسحبة من عدة مزايا اهمها معرفة الارض التي تنسحب عليها وقدرتها على الاستفادة من وعورتها وممراتها الاجبارية ونقاطها المنيعة وامكانية الاختفاء فيها وايجاد موارد الماء ومصادر التموين بالاضافة الى التحاقها بقوات عصابات اخرى متمركزة الى الخلف ، الامر الذي يزيـد من قوتها ويقلب ميزان القوى في بعض الاحيان بصورة محلية . ولكنها تتعرض في الوقت نفسه لسلبيات الانسحاب واهمها هو الانطبـاع المعنوي السيء الذي يسببه الانسحاب ، وهو انطباع لا يقف عند نقطة واحدة ، ولكنه يخترق كـل مستويات المقاتلين والقيادات بسرعة البرق ، ويشل الروح القتالية والقدرة على الاستمرار والصمود ، ويخلق بين الجماهير والمقاتلين هوة رهيبة ، ويدفع السكان الى التساؤل بقلق عمن سيحميهم بعد انسحاب العصابات ، ووقوع مناطق شاسعة بيد الاعداء .

والحقيقة ان مثل هذا الانطباع السيء قد يدفع بعض قادة

العصابات الى تجاهل ضرورات التراجع الى داخل البلاد وايجابياته ، ويجعلهم يحجمون عن مثل هذا العمل خوفا من تحمل المسؤولية المعنوية امام التاريخ والجماهير . ولكن على مثل هؤلاء القادة ان يتذكروا بانه مهما كان التأثير المعنوي هاما لا يمكن تجاهله فان عليهم مهمة اساسية هي الحفاظ على الاداة مع الاستمرار في ادارة القتال حتى يتم تدمير العدو المهاجم . وان الوصول الى هذا التدمير لا يأتي الا باستخدام افضل الاساليب الملائمة للواقع والمنسجمة مع ظروف الموقف الراهن .

ان الحفاظ على معنويات المقاتلين وثقتهم بانفسهم وثقة السكان بهم امر ضروري واساسي ، وهو لا يتم بالتمني والخطب الحماسية ، ولا يأتي الا من قناعة كل فرد من أفراد العصابات قناعة عقلانية جذرية بحتمية الصراع ، وعدالته ، وصعوبته ، وطول مدته ، وقناعة الجماهير بقدرة العصابات على استنزاف دم العدو قطرة اثر قطرة ، حتى يأتي يوم تنقلب فيه موازين القوى لصالح العصابات فتنطلق بهجومها المعاكس الشامل .

وتأتي القناعة الاولى لدى المقاتلين من الثقافة السياسية التي يتحلون بها ، واسلوب التحليل العلمي الذي يساعدهم على رؤية الامور بشكلها الموضوعي ، وبكل ابعادها الحقيقية ، ويؤمن لهم فهم الاحداث دون زيف ، بالاضافة الى السلاح النظري الذي يشحذ عزمهم وينير سبيلهم . ولا تأتي القناعة الثانية ، ولا تلتف الجماهير حول العصابات وتثق بها رغم تراجعها وتركها اجزاء عزيزة من ارض الوطن عزلاء بلا سلاح ، الا اذا رأت الجماهير ان العصابات لا تترك شبر ارض اكثر مما يجب ، وتنسحب ببطء وانتظام ، وتجابه المهاجم بشجاعة واقدام ، وتمنعه من الحصول على مكاسب اضافية ، وتقاتله وهي منسحبة باسلوب « الاسد الجريح » الذي يتراجع مكشرا عن انيابه ووجهه الى عدوه ، وعيناه تقدحان شررا ، ولا ينتقل خطوة الى الخلف دون ان يسدد

لعدوه ضربة توقفه عن المطاردة ... واذا لـم تستطع ان تقاتله بهذا الاسلوب نظرا لطبيعة الارض او اختلال ميزان القوى بشكل واضح لجأت الى اسلوب « الذئب الجريح » الذي ينسحب الى غار ناء حاملا جرحه بكبرياء . ويختفي طوال النهار مراقبا عدوه منتظرا هبوط الظلام ، كيما يعود ويتحين الفرص للانقضاض على ظهر عدوه .

عندها فقط يستعيد المقاتلون ثقتهم بانفسهـم وبقادتهم ، وعندها فقط تؤمن الجماهير باهمية العصابات وقيمتها ، وترى كيف يترك رجال العصابات اماكنهم بحثا عن اماكن قتالية افضل ، وكيف يغادرون القرى ليعودوا اليها ، ويضربوا العدو مستفيدين من الليل والمفاجأة ، ويكبدوه وسط غطرسته خسائر تفقد نصره التكتيكي الاولي كل معناه . وهنا تحس الجماهير بالفرق الواضح بين التراجع المنظم بناء على خطة مدروسة ، والانسحاب الفوضوي الذي يقارب الهزيمة ، فلا تفقد الامل مـع تراجع العصابات ولا تعتبر التراجع تخليا عن الواجب ، بل تودع بنظرات الاكبار ارتال المتراجعين المبتعدين في شعاب الجبال وهم يحملـون سلاحهم وذخائرهم ، وتعد اللحظات بانتظار حلول الظـلام ، كيما تحمل اليهم في معاقلهم كل ما يحتاجونه من المؤن والماء والدواء .

هكذا ينبغي ان نفكر عندما نحلل عمليات رجال المقاومة في العرقوب وهذا هو الخط العلمي الذي ينبغي ان يوجه خطانا عندما نقيم جهود رجال المقاومة العربية الصامدين في كل مكان .

فهرست

٤٠٠

هذا الكتاب

من اكثر الظاهرات سلبية في الفكر العربي تلك الانقطاعات الكاملة في التجارب الكفاحيـــة التي مررنا بها ، بحيث يبدو النضال العربي في كل مرحلة من مراحله التاريخية ـ وكأنه يبدأ من الصفر تماماً .

وهذا ما يجعل تاريخنا الثوري مفتقداً للتواصل المستفيد من التجارب الشعبية على المستوى القومي . (الثورة الجزائرية ، ثورة جنوب اليمن ، ظفار ، الانتفاضات الفلاحية والعماليـــة المشتتة ، هزائم ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ الخ).

وفي الوضع الراهن تمثل انتفاضة الشعب الفلسطيني ، تجربة لها اثرها التاريخي ـ ليس فقط على الشعب الفلسطيني بل على الأمة العربية ـ لم تتعرض لتحليل نقدي لممارساتها السياسية والعسكرية يؤدي الى تنظير ثوري للمستقبل .

من هنا اهمية « المقاومة عسكرياً » حيث يقوم المؤلـف ، وهـــو احد قادة المقاومة ، بتحليل الممارسات العسكرية محاولاً استخلاص الدروس والنتائج التي تجعل من المقاومة واعية جيداً لفن حرب العصابات الثورية .

الثمن : ٣٠٠ ق. ل.
٤٠٠ ق. س.

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت